صديقٌ من كوكبٍ آخر

سلسلة الخيال العلمي

رئيس مجلس الإدارة
محمد الأحمد
وزير الثقافة

المشرف العام والمدير المسؤول
د. ثائر زين الدين
المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب

رئيس التحرير
د. طالب عمران

الإشراف الطباعي
أنس الحسن

التدقيق اللغوي
هاجر حرب

تصميم الغلاف
ميسون سليمان

الإخراج الفني
ردينة أظن

سلسلة الخيال العلمي (٢٢)

صديقٌ من كوكبٍ آخر

قصص من الخيال العلمي

رؤوف وصفي

المارد المعدنـــــــي

-١-

المارد المعدني العملاق يخطو أولى خطواته فوق الأرض، أول إنسان آلي يسير فوق التلال الخضر، وأشعة الشمس تنعكس على بشرته المعدنية الرمادية اللامعة، كان يسير برشاقة تغلب عليها الخيلاء، حقاً إن صوت أقدامه لايكاد يسمع، ولكن الأرض كانت تهتز اهتزازاً خفيفاً، تحت ثقل هذه الكتلة الضخمة، بل إن الهواء سرت فيه رعدة من تلك الآلة العملاقة التي كانت تنبض وهي تخترقه. كانت واضحة تلك الرشاقة في التصميم والتركيب المثاليين. ثقل وقوة، وطولٌ بلغ مترين ونصف المتر، عيناه مروعتان، تتوهجان كأنما بنار داخلية تتأجج بفعل الذرات المشعة، كانتا تستطيعان أن تريا في أي مدى بوساطة ذبذبة يصدرها من أشعة الليزر..

لقد بناه العلماء على شكل إنسان.. ولكنهم كانوا من الحرص بحيث إنهم لم يعطوه وجهاً مميزاً.. كانت هناك العينان المتألقتان بمآقيهما مع إمكان تزويدهما بعدسات إضافية إذا استدعى الحال رؤية ميكروسكوبية أو تلسكوبية.. وأيضاً بعض الفتحات الصغيرة الأخرى الحسية والصوتية.

ولكن فيما عدا هذا كان رأس المارد المعدني قناعاً من المعدن الرمادي اللامع، كان أشبه بالإنسان ولكنه لم يكن إنساناً، لقد عاش لزمن طويل في حلم الإنسان، في أساطيره، إنه الكائن العجيب الذي يمكنه أن يخدم أو ليهدم بقوة خارقة.

أخذ يسير تحت سماء صيف صافية وفوق حقول فاضت عليها أشعة الشمس مخترقاً بساتين صغيرة ترقص وتتهامس في النسيم المنعش النقي من أي تلوث أو جراثيم.

كانت المنازل البيضاوية البلورية مبعثرة هنا وهناك، تلك هي مساكن القرن الثاني والعشرين التي تدار إلكترونياً بوساطة كمبيوتر هائل المعرفة.

وفيما وراء الأفق، تبدو المصانع الضخمة التي تحول الطاقة الشمسية إلى قوة كهربائية بوساطة خلايا كهروضوئية مدمجة بتكنولوجيا التصغير الفائق. كان هناك أيضاً بعض الرجال والنساء والأطفال، لوحتهم الشمس، يؤدون مهامهم بثياب متألقة فضفاضة تتطاير في الهواء النقي، ويبدو أن البعض كان يعمل رساماً يقوم بتجربة في تآلف الألوان وملحناً يجلس في حديقة منزله يعزف على الأورج الإلكتروني، وعجوزاً قد اضطجع في فراشه الهزاز ومعه كتاب، عاشقان يتبادلان كلمات الحب الهامسة، مجموعة من الأطفال في لعبة من ألعابهم القديمة قدم الأزل والتي تناسب أعمارهم. لقد كانت الآلات بكل العمل، أما الجنس البشري- في القرن الثاني والعشرين-

فقد كان يعيش حياة رغيدة. كانوا يرون الإنسان الآلي يمر وكثيراً ماشعر راداره الإلكتروني بالنبضات التي تعني العصبية وعدم الراحة البسيطة، وبالرغم من أنهم كانوا يثقون بهؤلاء العمالقة الآليين ولم ينظروا إليهم كوحوش مفترسة، إلا أنهم راحوا يتساءلون عن أول تجربة في العالم لترك إنسان آلي دون رقابة، حرية كاملة في الحركة، شعروا بالخوف الإنساني البدائي من الغريب والمجهول، وفي أعماق عقولهم تنبثق أسئلة تحيرهم، ماالذي ينويه الإنسان الآلي؟ وماتأثير هذا الجنس المعدني الذي لايقهر على الجنس البشري؟

بمجرد أن اختفى الإنسان الآلي بطوله الفارع وراء التلال الخضر، ضحكوا.. ربما ليخفوا قلقهم، وعادوا لحياتهم السعيدة، واستمر الإنسان الآلي في تقدمه.

-٢-

جلس حزيناً في المطعم الآلي، كان عليه أن يسلم نفسه إلى مركز التأمل والعلاج النفسي، فقد اكتشف جهاز القياس العقلي أن معدل صحته النفسي قد انخفض إلى حَدٍّ خطير! آلة أخرى تصدر حكماً عليه وتجعله يائساً من الحياة، آلة.. مجرد آلة.. قطعه من الحديد.. مسخ معدني..

يقولون إن هذا المركز قائم لعلاج البشر من الأمراض النفسية التي يصابون بها نتيجة كثرة تعاملهم مع الآلات بكافة أشكالها، والتي

أصبحت تقوم بكل العمل، ولكن لم يخرج من المركز أي شخص حياً! إنه منفي لافرار منه، فالشخص الذي ىيستطيع التأقلم مع الآلات في القرن الثاني والعشرين، لايستحق الحياة. خطر بذهنه أن الجنس البشري لم يتغير فيه شيء منذ فجر التاريخ، ربما أصبح الكهف أكبر حجماً وأشد تألقاً، وحجر الصوان أكثر جودة. ولكن الإنسان نفسه، ليس أكثر قوة. أو أشد صلابة! لفتت نظره ومضة قوية، لامعة، نظر بسرعة من خلال الباب الزجاجي للمطعم الآلي ثم تراجع في ذعر حتى سكب محتويات كأسه.

تمتم في رعب:

- يا إلهي.. إنه الإنسان الآلي.. الإنسان الآلي..

نهض.. ودار حول نفسه محاولاً أن يرى بوضوح من خلال الباب، ثم نظر إلى الجالسين في المطعم، أحس أنهم يتجاهلونه تماماً!

قال في عصبية:

- انظروا، إنه الإنسان الآلي! الخطر الداهم.. لقد بنوه منذ ثلاث سنوات في مصنع الإلكترونيات، وهو أشبه بالإنسان، بعقل صناعي ووحدات منطق.

عاد يهمس لنفسه:

- أشبه بالإنسان ولكنه يتفوق عليه.

كان العملاق المعدني الضخم يتألق وهو يخطو عبر الحدائق في رحلة إلى المجهول.

أخذ يصرخ في مرارة:

– ألا ترونه؟ إن الإنسان من لحم ودم لم يعد كفئاً لعالمنا الجديد المتطور، عالم القرن الثاني والعشرين. لقد أقاموا هذا المسخ الآلي ليحل محل الإنسان، لم ينبس أحد من الجالسين ببنت شفة، حتى أنهم لم ينظروا إليه. تعثرت في فمه الكلمات.

ثم صرخ محتداً.. بقمة انفعاله:

– إننا معشر سكان الأرض نشترك في رذيلة واحدة، هي أننا نأخذ مايعطى لنا، سواء كنا بحاجة إليه أو لم نكن! أيها الأغبياء، الخطر هناك في الخارج، وأنتم جالسون كالتماثيل. إن الإنسان زهرة الخليقة وأنبل ما في الوجود ينزلق إلى الظلام، إلى حفرة لاقرار لها!

ارتفع صوته أكثر. وجسمه كله يرتجف:

– ولكنني لن أنحدر دون أن أقاتل.

نفذ بسرعة من خلال الباب الزجاجي الذي فتح إلكترونياً،ورأى الإنسان الآلي الشامخ فجأة. بدا كأنه احتوى ماكان السبب فيما حدث له، شعر بكراهية شديدة نحوه، أخذت تؤلمه بعنف وكأنها تشق جمجمته.

صرخ قائلاً:

- استدر، استدر وقاتل.

توقف الإنسان الآلي واستدار ببطء. التقط الرجل حجراً ورماه به فارتطم الحجر بالدرع الصلب بصوت مكتوم.

اندفع إلى الإنسان الآلي وهو يسب ويلعن، ركل بحذائه وضرب بيديه كل ما استطاع أن يصل إليه من جسم المارد المعدني ولكن دون جدوى.

قال الإنسان الآلي بصوت معدني أجش:

- كفى! وإلا أصبت نفسك بأذى.

تراجع الرجل وهو يلهث من ألم في جسمه ومن عجزه، قال بصوت مفعم بالألم:

- أعلم أنني أضعف من أن أؤذيك، ولكن كيف يمكنك أن تعرف أحلام الإنسان الآدمي؟

رد عليه الإنسان الآلي بدهشة:

- لا أستطيع أن أفسر تصرفك هذا، إنه أمر غريب، فالبشر كلهم سعداء.

اندفع الرجل يقول بصوت مفعم بالسخرية:

- ولم لا! إن الآلات تستولي على كوكب الأرض كله، وتجعل من الإنسان الآدمي مجرد نبات طفيلي. أنتم سبب تعاستنا .

اهتز الصوت المعدني العميق بشيء أشبه بضحكة سخرية:

- أعلم أنه ليست لي نوايا عدوانية، فقد تم تصميم ذاكرتي الإلكترونية على أساس استبعاد هذه النوايا نهائياً .

توقف لعدة ثوان، ثم استطرد قائلاً:

- ولا حاجة بي لقتال أحد، فابتعد عني.

كان من الغريب حتى في عالم اعتاد الآلات التي كادت أن تدب فيها الحياة، أن يقف يجادل كتلة متحركة من المعدن والبلاستيك والطاقة الذرية وأشعة الليزر. دهش الرجل لهذا وأدرك كم هو منفعل، ولكن كان من الضروري أن ينفث حقده ويأسه وأن ينطق كلمات قد تخفف من حدة التوتر الذي يشعر بأنه ينفجر داخله. لقد هدمت هذه الآلات كل حياته، أفقدته كل المعاني النبيلة، الحب، الصداقة، الحرية، السعادة.

قال الرجل مجادلاً :

- ولكنكم ستستولون على كوكب الأرض كلما زاد عددكم، وعندما تبدأ قوتكم الخالية من الشعور..

قاطعه الإنسان الآلي بحدة:

- لهذا فأنا أكرهك، وأسوأ ما في الأمر أنني لاأستطيع التخلص منك.

وقف الإنسان الآلي كتمثال للآلهة القدماء، ولكن صوته اهتز في الهواء الساكن:

- إن حالتك نادرة، قد انحدرت إلى الظلام بسبب التكنولوجيا المتقدمة، ولكن لاتقارن نفسك بكل الجنس البشري. إنك تفكر بطريقة خاطئة، سيكون هناك دائماً رجال يفكرون ويحلمون ويواصلون تنفيذ كل ماأحبه الإنسان. إن المستقبل لكم أيها البشر، وليس للآلات نظر الرجل إلى الروبوت وكأنه كائن من عالم آخر.

استمر الصوت المعدني العميق:

- يدهشني أن رجلاً في مثل ذكائك لايدرك هذا الأمر، أي نفع من إنسان آلي؟. فما إن تقدم العلم حتى استطاع العلماء بنائي. آلة متخصصة لمعاونة الإنسان الآدمي على أداء الأعمال الخطرة؟. في غرفة بها إشعاع ذري. رحلة إلى الفضاء تستغرق مئات السنين.

قاطعه الرجل:

- إنني أدرك كل هذا.

أكمل الإنسان الآلي حديثه:

- إن الفنانين والمفكرين وصانعي السلام لايحتاجون إلى الإنسان الآلي، فهم يحددون أهداف الإنسان الآدميين ويحلمون أحلامهم.

أجابه الرجل في حزن:

- إنك لاتقول الحقيقة!

تحدث الإنسان الآلي بذلك الصوت المعدني العميق مؤكداً:

- أيها الإنسان.. لقد صُنعت فقط للدراسة العلمية، وبعد بضع سنوات، لن يكون لي أي غرض آخر، فيسمحون لي بأن أتجول، لاأؤذي أحداً، لاهدف لي ولامعنى، وإنما الهدف أن أظل أعمل شيئاً، ليس لي صديق، ولامكان في المجتمع البشري. إنني وحيد .. أتظن أني سعيد؟

- دار الإنسان الآلي على عقبيه لينصرف، كان يبدو وهو يصعد التل القريب كشبح عملاق يتجه إلى الفضاء. تهالك الرجل فوق العشب وشعر بأنه أصبح وحيداً في عزلة مخيفة، ضائعاً، مخلوقاً مغلوباً على أمره، يبحث عن بقية ضئيلة من هدوء النفس. علقت في ذهنه الكلمات الأخيرة التي ألقي بها الإنسان الآلي.

كان صداها لايزال يتردد في أذنيه ويملأ الفضاء من حوله ويعطيه بعض القناعة التي حرم منها طويلاً:

- أيها الإنسان.. كم أنت سعيد الحظ! لأنك تستطيع أن تحب وتكره وتتألم وتسعد ثم تنسى!

هجوم الزّواحف

كان قائد المركبة الفضائيّة (الإدريسي) هو الكابتن (عادل شرف) ومعه مساعده وصديقه (خالد هاشم) في طريق عودتهما إلى كوكب الأرض، لقضاء إجازة يخلدون فيها للرّاحة بعد رحلة في عمق الفضاء استمرّت عاماً كاملاً

عملا فيه كمستكشفين تابعين للأسطول الفضائي لاتّحاد كوكب الأرض في الحرب القائمة ضد الزواحف المخيفة.

-١-

كانت الزّواحف المخيفة جنساً من المخلوقات البشعة، تشبه الزّواحف الضّخمة جاءت بأعداد كبيرة من الفضاء الخارجي وتمكنت من غزو بعض الكواكب التّابعة لكوكب الأرض خارج المجموعة الشّمسية.

وبرغم استمرار الحرب لمدّة ثلاث سنوات، إلا أنّ الموطن الأصلي للزّواحف المخيفة لم يكتشف أبداً.

وبعد عدد من المعارك الفضائيّة، وخسارة عدد من الكواكب فإنّ قوات الاتّحاد الأرضي كانت قد بدأت في احتواء الأعداء. ولكن النّتيجة النّهائية للحرب لا يمكن تحديدها! فالمستقبل زاهر بالمعارك

الرّهيبة التي يجب خوضها، وكان الكابتن (عادل شرف) ومساعده (خالد هاشم) قد تطوّعا في الحال للخدمة العسكرية في الأسطول الفضائي للاتّحاد الأرضي بمجرد أن بدأت الحرب.

والكابتن (عادل شرف)، عنده سبب خاص لكراهيّة الزّواحف المخيفة.. غزوا كوكبه الأصلي (فيجا) الذي أصبح الآن أحد مواقعهم الحصينة في مجرة (ماجلان) الكبرى التي تبعد عن كوكب الأرض سنة ضوئية، وأخذوا أسرته كأسرى، وكذلك جميع سكان كوكب (فيجا) الآخرين واستخدموهم كعمّال مناجم فوق كواكب مختلفة في مجرّات عديدة.

❖❖❖

كان الكابتن (عادل شرف) طالباً في أكاديمية الفضاء على كوكب الأرض وقت غزو الزّواحف المخيفة، فتطوّع في الخدمة العسكرية على الفور ونظراً لمعرفته بكواكب الاتّحاد الخارجيّة في المجرّات الأخرى، ولأنه كان ملاحاً فضائيّاً ممتازاً، فقد ألحق بوحدة الاستكشاف بالأسطول الفضائي.

والآن.. بعد عامين من القتال في المعارك الفضائية الضارية، أصبحت مآثر وبطولات (عادل شرف) أسطوريّة، وحقق منزلة عظيمة فذّة وهو ما يزال في الرّابعة والعشرين من عمره حيث أصبح أصغر قائد في الأسطول الفضائي لاتحاد الأرض. وتقابل مع (خالد هاشم)

لأول مرة في أكاديمية الفضاء في صالة ألعاب الكاراتيه، وقد استطاعا التّغلب على ثمانية من زملائهما بضربات (هوينج) و(لانج تو) وجمع بينهما حب الرياضة وممارستها.

ثم تخرّجا في أكاديميّة الفضاء وتدرّبا معاً على سفن الفضاء المقاتلة وتم تعيينهما كطاقم بعثة استكشاف تضم رجلين فقط.

أمّا (عادل شرف) فبسبب قدرته كملاح فضائي كان الضابط الأعلى للبعثة وأطلق على مركبتهما الفضائية اسم (الإدريسي) نسبةً إلى العالم الجغرافي الشهير الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي. وكانت مركبتهما من أحدث سفن الاستكشاف، خارقة السرعة، وكثيفة التّسليح.. المصمّمة للاشتباك مع العدو لفترات طويلة.

ريثما تتمكن السفن الفضائية المقاتلة العملاقة من اللّحاق بها ومساندتها والقضاء على العدو..

❖❖❖

وفي العامين الماضيين، تمكن (عادل) و(خالد) من تدمير ثلاث سفن فضائيّة للزّواحف المخيفة. كما اشتركا في كثير من المناوشات والاشتباكات الأخرى، لدرجة أنهما عرفا بين جميع فرق الأسطول الفضائي لاتّحاد الأرض باسم (الثّنائي الرّهيب).

-٢-

كانا يقتربان من المجموعة الشّمسيّة بمركبتهما الفضائيّة (الإدريسي) جلسا باسترخاء في غرفة القيادة البيضاويّة يحلمان بقضاء إجازة هادئة على سطح الأرض.. تحت أشعة الشّمس الدّافئة.

قال الكابتن (عادل) وهو يضبط جهاز المسح الراداري الذي يعمل بأشعة الليزر:

- إن شمسنا العزيزة رائعة يا (خالد) ولن يمضي وقتٌ طويلٌ قبل أن نكون متمددين على أحد شواطئ (سيناء)، نتمتع بأشهى الأطعمة، وتحتضننا أشعتها الدّافئة.

تنهد (خالد) وهو يبتسم:

- حقّاً يا كابتن، نريد أن نتحرر قليلاً من طعام الفضاء، كبسولات وحبوب مجففة! أنا شخصيّاً لا أطيق الانتظار حتى تقبض أسناني على شريحة لحم بقري حقيقيّة.

انتهى الكابتن (عادل) من ضبط جهاز المسح على نطاق تشغيل واسع، ثم مال إلى الوراء ويداه خلف رأسه يحدق في شاشات الكمبيوتر التي تمتلئ بها غرفة القيادة.

استطردَ مساعد الكابتن ، قائلاً وهو يبتلع ريقه:

- على أن تكون قطعة اللحم ساخنة ويتصاعد منها البخار!

لم يتمالك الكابتن (عادل) نفسه من الضحك ، وقال له:

– إنني أعتبر هذه فكرة لابأس بها، وبمجرد أن نهبط فوق سطح الأرض، فإنني سوف آمر بإعداد أكبر وجبة لديهم، وبعد التهامها سأنام لمدة أسبوع كامل وأنسى كل شيء عن الزواحف البشعة وجلودها المحرشفة المخيفة!

❖❖❖

كانا على مشارف المجموعة الشّمسيّة يقتربان من مدار كوكب (بلوتو)، على بعد من الشّمس..

وفجأة بدرت من (خالد) شهقة دهشة واعتدل في جلسته، قائلاً في فزع:

– كابتن.. لقد عثرت على شيءٍ ما فوق جهاز المسح الراداري! ثم توقف لفترة ، وقال:

– اختفى الآن! وأقسم إنّه يدل على سمات إحدى السّفن الفضائيّة المقاتلة.. للزّواحف المخيفة ولكن هذا مستحيل!

تولى الكابتن (عادل) مراقبة جهاز المسح الرّاداري وضبطه بالكمبيوتر الضّوئي بحيث ينقب بدقة بالغة في المنطقة التي حددها (خالد)، ثم لم يلبث أن تنهّد ، وقال بتؤدة:

– أعتقد أن أعصابنا قد أُرهقت من قتال ومطاردة الزواحف، إذ لا يوجد أي أثر لسفنهم في هذه المنطقة من الفضاء!

اعترض (خالد) قائلاً:

– لكن يا كابتن (عادل) إنني أستطيع أن أقسم على ذلك، ثم صاح فجأة وهو يسير بيده تجاه الشاشة:

– انظر.. هاهو ذا الأثر مرة أخرى على حافة كوكب (بلوتو)! وهذه المرة شاهده الكابتن (عادل) بنفسه.

هتف ، قائلا:

– إنك على حق يا (خالد)! الزّواحف البشعة وصلت المجموعة الشّمسيّة! أين إذن دوريات المراقبة لاتّحاد الأرض؟

– إنني أخشى أن يكون الأعداء قد رصدوا مكاننا، ولكن دعنا الآن نفترض أنهم لم يفعلوا، ولنحاول أن نجعل كوكب (بلوتو) بيننا وبينهم حتى نجهز أنفسنا للقتال.

تريث لعدة ثوان وهو يضبط بعض أجهزة القتال ، ثم قال:

– لا يوجد أي شك في أنها سفينة مقاتلة للزّواحف المخيفة، أسرع بإرسال هذه المعلومات إلى مراكز المتابعة فوق كوكب الأرض.

نهض (خالد) بسرعة ، وقال:

- على الفور يا كابتن.

وبدأ ينفذ التّعليمات..

أخذ يضغط على بعض الأزرار فوق لوحة مفاتيح كمبيوتر الاتّصالات،

ثم توقف فجأة، وقال بصوت مفعم باليأس:

لا فائدة يا كابتن.. أعتقد أننا في مأزق، فهناك من يشوش على إرسالنا!

-٣-

صاح الكابتن (عادل):

لكن ذلك غير ممكن إلا إذا...

صمت لبرهة بينما كان يضبط جهاز الاستشعار عن بعد في الكمبيوتر الضوئي.

وهنا ظهر بوضوح على الشاشة المجسمة أمام أجهزة القيادة أنّ إحدى السّفن الفضائيّة للزّواحف تطاردهم، وفي نفس الوقت شعر

الكابتن (عادل) و (خالد) بالتّأثير الضاغط لأشعة كهرومغناطيسية كثيفة تحيطهم من كل جانب وتشل حركة مركبتهما الفضائية (الإدريسي).

قال الكابتن (عادل) بقمة انفعاله:

– لقد أمسكوا بنا كالفئران في المصيدة! بسهولة كبيرة كما لو كنا حديثي التّخرج من أكاديميّة الفضاء!

قال (خالد) بحزن بالغ:

إنها غلطتي يا كابتن كان يجب أن أضبط أجهزة الاستشعار عن بعد على أقصى مدى لها .

رد الكابتن (عادل) بصوت هادئ:

– لا يا (خالد) إنها ليست غلطة أحد، فنحن لم نتوقع مصادفة سفينة للزّواحف قريبة هكذا من كوكب الأرض.

– المشكلة أننا يجب أن نحدد ما الذي يجب علينا عمله الآن!

وبمجرد أن أنهى كلامه أومض ضوء كمبيوتر الاتصال بين المركبة الفضائيّة (الإدريسي) وسفينة الزواحف المخيفة، ضغط الكابتن (عادل) على بعض الأزرار في لوحة المفاتيح فظهرت على الشاشة كلمة (استقبال)، وسرعان ما اختفت هذه الكلمة وبدت الملامح المخيفة للقائد الفضائي للزّواحف.

كان رأسه يشبه رأس السّحلية وله عينان برتقاليتان كبيرتان وإنسانا بشريَّ العينين.. أفقيتان سوداوان..

كما كانت له مجموعة من زوائد الاستشعار فوق رأسه تتلوّى باستمرار وهي بمثابة آذان للكائن الزّاحف ذات حساسية شديدة للصوت، وكان أنفه مجرد شق في نهاية فكين بارزين يمتلئان بالأسنان الحادّة.

غير المنظّمة التي تعطي مظهر تكشيرة متوحّشة عدوانيّة وكانت قشور جلده حمراء وخضراء وبالألوان المتدرّجة بينهما.

وبدت للكائن الزّاحف ذراعان قصيرتان وكان أكثر ما يلفت النظر إليه زائدة ضخمة تعلو كلاً من كتفيه، طويلة ومتناقضة المقطع حتى تصبح نقطة في آخرها، أما بقية جسمه، فيشبه جسم الإنسان تقريباً، بساقين غليظتين كجزعي شجرة صغيرة، وكان له ذيل طويل يصل إلى قدميه. والذيل والزوائد هي أسلحة الكائن الزاحف البدنية إذا كان بإمكان الزوائد أن تقطع الإنسان إرباً أو تسحقه بينما يوجه له الذّيل ضربة جبّارة.

كما يمكنه أن يثبت المخلوق الزّاحف في مكانه في حالة القتال المتلاحم.

❖❖❖

نظر الكابتن (عادل) والقائد الفضائي للزواحف كلّ إلى الآخر من خلال الشّاشات لكمبيوتر الاتّصالات وتغلفت نظرات الكابتن (عادل) بكل معاني الاحتقار، بينما ظهر وجه الكائن الزاحف بتقطيبة مروعة.

تحدّث القائد في همسات عاديّة وصفير كريه وكأنّ صوته يصدر من صندوق صغير على صدره إذ كانت لغته مجرد صفير متموّج.

ولكنهم ابتكروا جهازاً صوتيّاً للتّرجمة. لتحويل ذلك الصفير إلى لغة يفهمها البشر.

– لم يخطر ببالنا أن نأسر وبكل سهولة، أشهر كابتن في الأسطول الفضائي لاتحاد الأرض، لقد خيبت أملنا يا كابتن!

كان الصّوت الشّرير للكائن الزّاحف يهزأ ويسخر.

احتفظ الكابتن (عادل) برباطة جأشه، إذ لم يرد أن يسعد القائد العدو بكشف مدى الغضب و اليأس اللذين يشعر بهما، وكان صوته هادئاً؛ وهويجيب:

– يبدو أنّ لكم اليد العليا في اللحظة الراهنة أيها المخلوق الزّاحف!

صدر من القائد الفضائي ما يشبه الضّحكة السّاخرة:

– في اللحظة الرّاهنة! لا أحد يستطيع أن يهرب من قبضتنا ياكابتن!إن موقفكما ميئوس منه تماماً ..كما تعلم وأسلحتكم لا قيمة لها أمام الأشعة الكهرومغناطيسية القوية. إنني في انتظار استسلامكما!

تدخل (خالد) في الاتصال ، قائلاً بغضب:

– لن يحدث هذا أبداً أيها القائد!

قال القائد الفضائي بسرعة:

– آه.. إن هذا مساعد الكابتن دون شك، أليس كذلك؟ وأكثر الأشخاص إخلاصاً له.

لا شك أن المخلوق الزاحف كان يستمتع بكل لحظة من لحظات هذا الموقف الذي يبدو فيه منتصراً!

استطرد بلهجة ساخرة:

– أعرف أنكما تتمتّعان بقدر كبير من الشجاعة، ولكنكما الآن لا حول لكما ولا قوة.

زمجر (خالد) غاضباً :

– إذن لماذا لا تقضي علينا وتنتهي من أمرنا نهائيّاً ؟

أصدر الكائن الزّاحف صوتاً يشبه القهقهة:

– أقضي عليكما؟! إننا لا نستطيع تدمير طاقم مركبة الفضاء (الإدريسي) قبل أن نحقق أقصى فائدة منه!

قال الكابتن (عادل) في هدوء:

– إنك سوف تضطر لقتالنا لكي تأسرنا أيها المخلوق الزّاحف!

تريث القائد الفضائي ، ثم قال بتؤدة:

– يسعدني دائماً أن تتاح لي فرصة قتالكم يا رجال الأرض، ولكني محتاج لاستخدامكما أنتما و مركبتكما ولذلك ليس من الضروري أن أقاتلكما، إنكما الآن في قبضة سفينتي الفضائيّة الجبّارة.

شعر الكابتن (عادل) بالعرق يتجمّد على حاجبيه، وأحس بدوار شديد، قاوم للتّخلص من هذا الإحساس في رأسه وكان آخر شيء تذكر أنه رآه هو منظر (خالد) وهو يسقط فجأة على أرضيّة غرفة القيادة بينما الصوت الغريب للكائن الزاحف يدوي في أذنيه:

– إنني أرى مهندسينَ تمكنوا من اختراق سفينتكم وإدخال قدر ضئيل من غاز النوم! سوف أراك قريباً أيها الكابتن!

–٤–

عاد الكابتن (عادل) إلى وعيه ببطء وتلمّس طريقه للخروج من الحفرة المظلمة التي لا قرار لها والتي سقط فيها بلا رحمة.

تأوّه من ألم الصداع النصفي الذي يجتاح رأسه، حاول أن ينتصب جالساً، ولكن أطبقت عليه موجة من الغثيان، ولم يلبث أن تهالك إلى الوراء على الأريكة الضخمة التي كان ممداً عليها، وشاهد (خالد) إلى جواره على أريكة مماثلة.

وكان الاثنان في مقصورة كبيرة بسفينة الزواحف المخيفة!

استدار الكابتن (عادل) على جنبه ناحية (خالد) ومد يده وهزه ولكن (خالد) كان مستغرقاً في النّوم بعمق، ثم سمع صوت المخلوق الزّاحف مرة أخرى كالصفير من مكبّرٍ للصّوت على جدار المقصورة،ولاحظ الكابتن (عادل) عدسة كاميرا مثلّثة مركّزة عليه.

- أمر عجيب أيها الكابتن! إنك نموذج مشرّف لبني جنسك في قوّة التّحمل. إنّ المخلوق الزّاحف نفسه يظل غائباً عن الوعي إذا تعرض لغاز النّوم لمدة أطول من ذلك!

تريّث لبرهة، ثم أضاف:

- لقد بدأت أصدق بعض الرّوايات التي قيلت عنك، وعلى أي حال أنت في قبضتي الآن، وسوف نأخذك إلى قاعدتنا الخاصّة في مجموعتكم الشّمسيّة لا شك أنك متعجّب أيها الكابتن كيف تغلغلنا كل هذه المسافة؟! إننا ادّخرنا لك مفاجآت كثيرة، وقريباً جداً سوف يكون كل سكان كوكب الأرض عبيداً للزواحف وإلا فالموت مصيرهم!

لم يرد الكابتن (عادل) ولكنه أخذ يفكر بعمق وبسرعة فيما قاله المخلوق الزّاحف.

كان مصمماً أن يعرف المزيد من خططهم، كما راوده الأمل في أن تتاح له أي فرصة، إما للهرب أو لإنذار كوكب الأرض.

فكر في مهاجمة قائد الزّواحف المخيفة في أول فرصة تتاح له، ولكنه سرعان ما تخلى عن هذه الفكرة عندما أدرك سخافة وعقم هذه المحاولة البطولية.

إذ كيف يستفيد منه كوكب الأرض وهو ميت؟!

برقت هذه الأفكار الخاطفة في رأسه عندما قرر أن يسترخي وينتظر ما يجد من أحداث، كان يتساءل لماذا لم تكتشف دوريات المراقبة للاتّحاد الأرضي، موقع سفن الزواحف وهي تتواجد داخل المجموعة الشّمسيّة؟

فجأة خمدت حركة سفينة الفضاء وتوقفت محرّكاتها الضّخمة.

وفي هذه اللحظات عاد (خالد) إلى وعيه ببطء، تأوّه وهو يحاول النّهوض، ثم قال بضعف:

– إننا لم نمت بعد يا كابتن! أليس كذلك؟

ورد عليه الكابتن (عادل) ليطمئنه:

– إلى حدٍّ ما يا (خالد) إننا سوف نستغل هذا الموقف ونحاول معرفة أكبر قدر من المعلومات ثم ننتهز الفرصة إما للهرب، أو لإنذار مركبة القيادة فوق كوكب الأرض.

اعتدل (خالد) في وقفته وقال بحدة وحقد:

- كم أتمنى أن أقضي على واحد أو اثنين من هذه الزّواحف البشعة الآن فلقد سببوا لي كل المتاعب والآلام التي لا يمكن تصوّرها!

❖❖❖

انزلق باب المقصورة إلى الخلف ليكشف وراءه قائد الأسطول الفضائي للزّواحف دخل وزوائده تتلوّى باستمرار، سار وهو يفكر بعمق تجاه (عادل) و(خالد) بينما ذيله الضّخم يخدش الأرضيّة.

كان يتبعه اثنان من مساعديه وكل منهما يحمل سلاحاً بيضاويّاً في زوائده.

كشف قائد الزواحف عن أسنانه الكريهة وبدأ يطلق صفيراً موجياً يعبر عن كلامه، ولم يلبث هذا الصفير أن تحول إلى كلاميخرج من جهاز التّرجمة المثبت على صدره:

- إنني على ثقة من أنكما قد استمتعتما بنومكما القصير يارجلي الأرض، ونحن الآن على وشك الهبوط.

ثم استدار إلى مساعديه، وقال بلهجة آمرة:

- أوصلهما حتى الحاجز الهوائي.

بدأ الملاحان الفضائيّان الزّاحفان في التّحرك إلى الأمام وتعثر أحدهما في ذيل القائد الذي أصدر صفيراً ينمّ عن الغضب، وضربتإحدى زوائده الزّاحف المسكين، فظهر أثر عميق للضربة في جانب رأسه وقال بحدة:

- أيّها الغبي..

ثم لم يلبث أن أدرك أن جهاز التّرجمة مازال يعمل فأغلقه وبدأ يصفّر بعمق، وهو يواجه الملاحين الفضائيين الزّاحفين.

وعند ذلك أدرك الكابتن (عادل) أنّ المخلوق الزّاحف لم يكن قاسياً على الأجناس الأخرى وحسب، وإنّما يمكنه بسهولة قتل أو إيذاء بني جنسه، بل ربما يحصل قواد الفضاء الزّاحفين على رتبهم أو سلطاتهم من ممارسة القوة الجّسمانيّة الطّاغية أو الأعمال التي تتسم بالخيانة والغدر.

وكان هذا أحد العوامل الرئيسية التي ساعدت الاتّحاد الأرضي على التّصدي للهجوم عليهم!وكثيراً ما كان من عادة الزّواحف المخيفة الخروج عن التعليمات الصّادرة إليهم، ومطاردة السّفن الفضائيّة للاتّحاد الأرضي، وتمكنوا بهذه الطريقة من تحطيم الكثير من هذه السّفن كانت لديهم شهوة للقتل والحرب وكراهيّة النظام.

ويرجع تضامن الكائنات الزاحفة جميعاً كيد واحدة بهدف تدمير الاتّحاد الأرضي، إلى ماقام به مخلوق زاحف اسمه (صادن سيد الحروب)

وكان هذا ماهراً حقاً وقاسياً وصارماً لدرجة أنه حطّم ذات مرة إحدى سفنه الفضائيّة، لمخالفتها أوامره بالقيام بهجوم انتحاري.

وبرغم أنه حكم بالخوف، فإن معظم المخلوقات الزّاحفة كانت تحقد عليه وتضمر له الشّر.

وقبل أن يتولى الحكم، كانت المخلوقات الزّاحفة عبارة عن جنس من الجّماعات المتصارعة، وهو الذي جمعهم ووحد صفوفهم.

وكان الاعتقاد السائد لدى زعماء الاتّحاد أنه لو قتل (صادن)، فإن تهديد الزّواحف المخيفة سوف يتبدد ويمكن للاتّحاد الأرضي أن يعيش في سلام واطمئنان مرة أخرى.

❖❖❖

مرّت كل هذه الأفكار بخلد الكابتن (عادل شرف) عندما كان قائد الزّواحف يصفّر منفثاً عن غضبه على مساعده.

وأخيراً استدار تجاه الكابتن (عادل) و(خالد) وشغّل جهاز التّرجمة المثبت على صدرهوقال بقسوة:

– لابأس من وجودكما هنا لتشاهدا نظام وانضباط الزّواحف أيها الأرضيون!

ثم نظر إلى الجرح الذي أحدثه في رأس مساعده واستطرد قائلاً:

- هذا مجرد عقاب بسيط لغبائهوعليكما أن تفكرا فيما يمكن أن يكون عليه عقابكما إذا حاولتما إبداء أي تصرف أحمق ثم استدار لمساعده، وقال:

- أحضرهما !

وخرج مسرعاً من المقصورة يجر ذيله الضخم وراءه.

دفع الكابتن الزّاحف الكابتن (عادل) و(خالد) أمامه، واقتفوا طريق القائد ثم اقتيدا حتى غرفة الحاجز الهوائي الرئيسي في سفينة الفضاء.

وبينما هما يخرجان، لم يملك كابتن (عادل) نفسه من إطلاق شهقة تعجّب مما رأى!

-٥-

كانا موجودين داخل كهف هائل.

الذي بدا واضحاً أنه تكوين طبيعي وليس صناعيّاً، إذ لم يكن هناك دليل يذكر على أعمال حفر وكانت المباني التي يقتربون منها مشابهة تماماً للقباب البلاستيكيّة التي يستخدمها أهل الاتّحاد الأرضي، إلا أنّها معتمة وأكثر سمكاً

كأن كل شيء يدل على أن هذه قاعدة قتال حديثة أنشئت على عجل.

وتعجّب الكابتن (عادل) من كيفية تدبير الزّواحف المخيفة لأمر هذه القاعدة الحربيّة البعيدة فوق كوكب (بلوتو)، دون أن يكتشف أحد أمرهم! ثم شاهد أجزاء كبيرة من هياكل سفن فضاء تبدو مألوفة تماماً.

قال الكابتن (عادل) بصوت مفعم بالدهشة يخاطب (خالد) وهو يشير إلى بعيد:

- ما الذي تذكرك به هذه السفن الفضائية؟

أجاب (خالد) وهو يفكر:

- لا شك أنها تبدو مألوفة، ولكني لا أدري ما هي على وجه التّحديد؟!

ثم استطرَدَ، قائلاً:

- إنها أجزاء سفن شحن تابعة للاتّحاد الأرضي!

رد الكابتن (عادل) بسرعة:

- بالطبع إنها من نفس النوع الذي يستخدمه العاملون في محاجر الكويكبات التي تنتشر بين كوكبي المريخ والمشتري، إن الزّواحف المخيفة تصنع سفناً تشبه سفن شحن مواد المحاجر.

ضحك قائد المخلوقات الزّاحفة ضحكة في شكل صفير متواصل، ثم قال:

– آه.. لقد اكتشفت سرّنا الخفي إذن! إنّ سفن دورياتكم نادراً ما تعترض طريق سفن شحن مواد محاجر الكويكبات، ومجموعتكم الشّمسيّة تضم أعداداً كبيرة جداً منهاولهذا صنعنا بعض سفننا الحربية بنفس شكلها.

لم يرد الكابتن (عادل) عليه، بل نظر إليه باحتقار، وبمجرد أن استدار الكائن الزّاحف همس (خالد)، قائلاً:

– إنني أشك أنّ هذه الخدعة يمكنها أن تفلت من الرّقابة الدّقيقة، ولن يمر وقت طويل حتى يتم اكتشافهم، لا ريب أنهم محظوظون حقاً، وإلا لما تمكّنوا من البقاء هنا طويلاً، وبمجرد التّعرف عليهم ستتم مهاجمتهم. هل تظن أنهم يعرفون شفرتنا السّريّة؟!

رد عليه الكابتن (عادل) بعد عدّة ثوان:

– ولنفرض أنهم يعرفون شفرتنا السّريّة، إن هذا سبب كاف في حد ذاته لكي نهرب ونحذّر مركز القيادة في كوكب الأرض تريّث لحظات ثم أردف، قائلاً:

– لابد أن ينجح أحدنا في ذلك!

❖❖❖

كانا تقريباً في منطقة القباب البلاستيكيّة عندما ظهر كائن زاحف من خلفهما، ووراءه مجموعة من ستّة رجال أرضيين، أخذوا ينظروا جميعاً إلى الأمام مباشرةً كالمنومين مغناطيسياً! ويجرّون أقدامهم على الأرض.

وعندما اقتربوا من الكابتن (عادل) و(خالد) لاحظا أن وجوههم تبدو خالية من أي تعبير، وعيونهم معتمة وخالية من الحياة!

توقف الكائن الزّاحف لفترة، وأطلق صفيراً إلى الحارس الذي أدى التّحية بزوائده ثم أمر المجموعة بالتّوقف.

استدار القائد ناحية الكابتن (عادل)، وقال بسخرية:

- والآن أيها الكابتن هل ترى مدى بدائيّة الإنسان؟!

صاح الكابتن (عادل) بغضب وهو يندفع إلى الأمام:

- ماذا فعلت بهم أيها الوحش؟

شهر المخلوقان الزّاحفان المكلفان بالحماية أسلحتهما في وضع تهديد، إلا أن القائد نحاهما جانباً بذيله وقال في تحدّ:

- هل تريد أن تهاجمني يا كابتن؟ إنني أسمح لك أن تحاول ثم وقف بشكل استفزازي أمام كابتن مركبة الفضاء (الإدريسي).

كان الكابتن (عادل) يعرف أنّ الإنسان ليس نداً للمخلوق الزّاحف في المواجهة المباشرة بينهما، ولكنه كان يدرك أيضاً أن نقطة الضّعف الوحيدة في الزّواحف المخيفة، هي المجموعة الصغيرة من الزوائد التي تشبه قرون الاستشعار الموجودة فوق رءوسهم، فإذا اقتربت منهما بدرجة كبيرة فإنه يمكنك أن تعجز أيّاً منهم بضربة بسيطة!

لقد كان الكابتن (عادل) غاضباً ويريد فعلاً أن يتغلب على القائد بضربة سريعة على مجموعة زوائده ولكنه تذكّر في الوقت المناسب أن يسيطر على نفسه ويتحكّم في أعصابه. وأدرك أنه لو نجح في التغلب على القائد فسوف يقتله الحراس في الحال!

كما أنّ هناك أمراً خطيراً، كريهاً، وبشعاً،يدبر على كوكب (بلوتو) وكان مصمماً على اكتشافه.

ولذلك تقهقر كابتن (عادل) إلى الوراء خطوتين محتفظاً برباطة جأشه

أصبح تعبير القائد ينمّ عن الاحتقار وقال من خلال جهاز التّرجمة:

– هل تخشى أن تقابل الكابتن الزّاحف وجهاً لوجه؟

اندفع (خالد) إلى الأمام بغضب، ولكن الكابتن (عادل) منعه من الحركة وهمس له:

– لا تحقق له ما يريده

اعترض (خالد) بقوله:

- لكن يا كابتن، إن هذا المخلوق يرميك بالجبن؟ تنهد الكابتن (عادل) وقال وهو يغمز بعينيه:

- الأفضل أن تكون جباناً حيّاً، من أن تكون بطلاً ميّتاً.

ارتسمت الحيرة على وجه (خالد) وبدا غير مصدق لكلمات الكابتن (عادل) الذي اشتهر بالشّجاعة الفائقة.

اندهش المخلوق الزاحف أيضاً، وقال بخبث:

إن منطقك مقبول يا كابتن، ولكن لم أتوقع أن أسمع ذلك من عدو لنا، ربما ما يزال أمامك بصيص من أمل!

واجه الكابتن (عادل) المخلوق الزّاحف، قائلاً له:

- لا يوجد منطق في محاولة القتال في موقف ميئوس منه، لأن المعروف جيداً، أن الإنسان لا يمكنه أن يواجه المخلوق الزاحف لأنه ليس ندّاً له.

سمع خالد هذه الكلمات وهو لا يصدق أذنيه وأخذ يتنهد ويتحسّر.

وراود الكابتن (عادل) الأمل في ألا يحاول مساعده التّصرف بعصبيّة،وأن يفهم أنه كان يحاول أن يهدّئ من انفعال قائد الزّواحف بالتّظاهر بالضّعف والتّخاذل، حتى يفكر بخطّة للهرب أو إبلاغ مركز القيادة بكوكب الأرض..

تحدّث القائد إلى (خالد) قائلاً:

يبدو لي أن منطق الكابتن وذكاءه أعلى بكثير منك، ولذلك ليس غريباً أنه رئيسك في العمل!

كان ذلك أكبر من طاقة (خالد) على التحمل لأنه اعتقد أن الكابتن (عادل) قد استسلم وخضع لقائد المخلوقات الزاحفة، فاندفع فجأة تجاه القائد الذي سقط إلى الخلف في الحال! وعندما اندفع (خالد) إلى الأمام، جذب كابتن (عادل) قدمه فسقط (خالد) وتمدد على الأرض.

أمسك المخلوقان الزّاحفان الحارسان بذراعيه وجذباه وأوقفاه على قدميه.

نظر (خالد) بغضب إلى رئيسه، ولكن الكابتن (عادل) تجاهله وتحدث إلى قائد المخلوقات الزّاحفة:

- أرجو أن تعفو عن مساعدي،فهو يكون أحياناً سريع الانفعال!

حاول (خالد) أن يخلص نفسه من زوائد المخلوقين الزاحفين، قال وهو بقمة انفعاله:

- ابتعد عني!

كان من الواضح أن قائد المخلوقات الزاحفة متحير من تصرفات الكابتن (عادل).. وقال بصوته الذي يشبه الصفير:

إنّه مما يسعدني حقاً يا كابتن، أنك لست مندفعاً مثله، برغم أن ما سمعته من قصص عنك يختلف تماماً .أعتقد أنه يحسن بنا الاستراحة قليلاً من التّصرفات الطّائشة لمساعدك هذا، فقد بدأت أتضايق منه. ثم استدار إلى المخلوقين الزّاحفين وقال بلهجة آمرة:

- خذوه إلى المجمّع، وأنتم تعرفون ما يجب عمله!

امتثل أحد المخلوقين الزّاحفين لذلك ولكن زميله تردد..

عادت ثورة الغضب إلى القائد مرة أخرى، رفع ذيله مهدداً، ثم قال بقسوة:

- لقد أعطيتك أمراً!

وبينما كانا يسحبان (خالد) بعيداً، صاح من فوق كتفيه، قائلاً:

إنني لا أعرف ما الذي حدث يا كابتن، ولكن أيّا كان فإنني لا أرتاح له

لم يرد الكابتن (عادل)..

وأومأ القائد له بأن يتبعه وهو يمضي في طريقه نحو أكبر قبة بلاستيكيّة.

– ربما تريد يا كابتن أن تتفقد قاعدتنا الحربيّة معي، وعموماً أعدك بمشاهدة عدّة مفاجآت، كنا نستطيع أن نأسر سفينة فضاء حربيّة لاتّحاد الأرض ولكن المشكلة هي وجود عدد كبير من السّجناء لهذا كانت مركبتكما الاستكشافيّة هي أفضل كثيراً بالنسبة للهدف الذي نعمل له، تعال وسوف ترى!بدا أنّ اللّهجة السّاخرة للقائد الزّاحف قد اختفت وحل محلها أسلوب جديد يقارب الاهتمام والتّشوق.

-٦-

دخلا القبّة البلاستيكيّة من خلال غرفة الحاجز الهوائي التي تفصل بين حيزين مختلفي الضّغط الجوّي.

دهش الكابتن (عادل) لذلك حتى أصبحا في الداخل وعندئذ عرف السبب.

كانا في مختبر تنهمك فيه المخلوقات الزّاحفة في العمل على مجموعة غريبة من الأجهزة والمعدّات،ولاحظ الكابتن (عادل) في غضب وجود مجموعة كبيرة من رجال الأرض يتجولون في استسلام تاموينفذون ما يأمرهم به سجانوهم!

ويبدو أن قائد المخلوقات الزّاحفة قرأ أفكار الكابتن (عادل) لأنه سرعان ما قال له:

- هؤلاء الأفراد من بني جنسك يؤدّون عملاً مهماً لي لذلك لن أقتلهم عندما أصبح سيّد الأرض وكلّ الاتحاد.

قال الكابتن (عادل) وهو مندهش من شدة عنف رد قائد المخلوقات الزّاحفة:

- إن تحقيق ذلك قد يكون أصعب بكثير مما تتصور، تريّث القائد قليلاً ثم قال:

- ليس هكذا يا عزيزي الكابتن، فقريباً جداً سوف يخضع كل الأرضيين لي، تماماً مثل هؤلاء الأسرى، سأكون سيّدهم أنا فقط ولا أحد غيري.

سأله الكابتن (عادل):

- وماذا بشأن قائدكم الأعلى (صادان)؟ إنه يفوقك في الرّتبة قليلاًأليس كذلك؟ إذن سوف يصبح الزّعيم الأوحد.

أصدر المخلوق الزّاحف صفيراً، وقال:

(صادان) إنّه ضعيف وغير كفء، ولسوف يجد يوماً ما سبباً ليندم على تصرّفاته ضدي!

أخذ كابتن (عادل) يفكّر بسرعة، لا شك أن هذا المخلوق الزّاحف خائن لوطنه!

إذن فأسطول الزّواحف المخيفة لا يعمل كوحدة. وقرر أن يستغل كراهية هذا القائد لزعيمه.

فقال له بتؤدة:

– ولكن بالطبع لو اكتشفت (صادن) ماتقوم به، لَقُضِيَ عليك تماماً!

أصدر المخلوق الزاحف صفير الغضب، وقال:

– عندما يُكتشف هذا سيكون الوقت متأخراً جداً، ولن يجرؤ على الاقترابمن كواكب الاتحاد، بل سوف يترك الكواكب التي يحتلها الآن! وسأصبح أنا الزّعيم الأوحد.

سأله الكابتن (عادل) وهو يعتقد أنه أوصله إلى حالة بحيث يمكن أن يكشف عن هدفه من احتلال كوكب (بلوتو):

– كيف يمكنك أن تحارب الاتّحاد الرّياضي وبني جنسك في نفس الوقت؟!

ردّ المخلوق الزّاحف بسرعة:

– لن أحتاج لقتال أحد، فباستخدام ماعندي من....... ثم سرعان ما توقف المخلوق الزّاحف في منتصف الجملة ورمق الكابتن (عادل) بنظرة فاحصة، وقال له:

– إنّك بارع حقاً ياكابتن،ولكن لن يضيرني أن أوضح لك بعض خططي:

إنّ هذا المختبر ينتج المادة التي تجعل كلاً من جنسي الأرضيين والزّواحف خاضعين لي تماماً، وسوف تلقى أولاً في محيطات وبحار وأنهار كوكب الأرض، وبعد ذلك سوف تستسلم بقية كواكب الاتّحاد ولن يكون لهم أي خيار سوى ذلك، لأنهم سيكونون مجرد عدد هائل من الدّهماء والغوغاء بدون أي قائد يسوسهم.

ضحك الكابتن (عادل) وقال:

- ولكنك سوف تواجه مشكلة صعبة أيها القائد، حتى يمكنك إرسال هذه المادة إلى كوكب الأرض!

ظهر على وجه القائد مايشبه الابتسامة الساخرة، وقال:

- إن هذا هو السبب في وجودك هنا،إنك سوف تأخذ هذه المادة مني!

أحس الكابتن (عادل) بقشعريرة تسري في جسده، وبعجزه عن فهم مغزى كلمات المخلوق الزّاحف الذي استطرد، قائلاً:

- لقد رأيت بنفسك مدى خضوع سجنائنا لنا بالفعل.

رفع عينيه البرتقاليتين الكبيرتين إلى أعلى وهو يسمع صوت الحاجز الهوائي في مؤخرة القبة البلاستيكيّة. وأضاف قائلاً:

- أعتقد أن هذا يهمك أيها الكابتن.

تابعت عينا الكابتن (عادل) حركتي زوائد الاستشعار للمخلوق الزّاحف.

بينما انفتح باب الحاجز الهوائي ودخل (خالد) ووراءه مخلوق زاحف حارس

تحرك تجاههما بخطوات بطيئة.. متثاقلة، وكانت عيناه زائغتين وخاليتين من الحياة.

وبينما هو يمر أمامهما، ناداه الكابتن (عادل).

ولكنه لم يبد أي استجابة، واستمر في طريقه كالمنوَّم ليلحق بالرجال الأرضيين الآخرين!

صفر قائد الزواحف فرحاً، وقال:

- أرأيت! إن هذا أمر سهل جداً، كل ما فعلناه أننا أعطيناه كوباً من الماء، فأصبح خاضعاً لنا، ينفذ أي أوامر نصدرها له دون مناقشة!

ثم استطرد، قائلاً:

- أعتقد أن الوقت قد حان للتأكد من أنك سوف تطيع أوامري فوراً ياكابتن.

ولكن دعني أقدمك أولاً لعالمنا الفذ (شادي).

اقترب من أحد الزواحف الذي كان يعمل وسط مجموعة من الأنابيب الضخمة والأجهزة الكيميائية الممتلئة بسوائل مختلفة،لاحظ الكابتن (عادل) تذلل وخضوع المخلوقات الزّاحفة للقائد الذي أصدر صفيراً متّصلاً يدلّ على الضحك،وقال للكابتن (عادل):

- انظر أيها الأرضي، حتى العالم الكبير من بني جنسي يخافني،ولا شك أنه يحسن صنعاً بذلك. لم يرغب العالم (شادي) في البداية أن ينضم إلي ويساعدني في مشروعي، ولكنني أقنعته!!

لم يلبث العالم الزاحف أن عاد مسرعاً إلى أجهزته وأبحاثه،وكاد الكابتن (عادل) أن يشعر بالأسى على حاله.

وجه القائد حديثه للعالم، وقال:

- تعال الآن يا (شادي) هل أعددت الشراب لضيفنا العزيز؟

أجاب العالم بطاعة:

- لحظات فقط يا سيدي القائد.

ثم استدار إلى مائدة قريبة، وصب ما بدا كأنه ماء عادي من قنينة خضراء في كوب بلوري طويل، ثم قدمه للقائد الذي تجاهله واستدار للكابتن (عادل)، قائلاً:

– والآن أيها الأرضي، لك أن تختار، فإما أن تشرب هذا، وإما أن تموت ولا يهمني أن تختار أياً منهما فلدينا مركبتك الاستكشافيّة وزميلك وهذا يكفي لتحقيق غرضنا.

تريث القائد للحظات ثم أردف بحدة:

– وغيابك لن يعني أكثر من إدخال تعديل طفيف على الخطة الموضوعة.

لم يتردد الكابتن (عادل) إذ شعر ببساطة أنه طالما توجد الحياة، فإن هناك أملاً

وفجأة، حدث أمر غريب!

–٧–

فبينما كان يمد يده ليأخذ الكوب من العالم الزّاحف، سقط على الأرض متناثراًوانسكب السائل الشفاف مكوّناً بقعة كبيرة.

كان الكابتن (عادل) متأكّداً من أنّ ذلك حدث عمداً!

صفر القائد في غضب وضرب العالم بقوة على وجهه فأحدث جرحاً غائراً، ثم هتف بقسوة:

هل كتب علي أن أحاط دائماً بالعاجزين والخائبين؟! سوف تدفع

ثمن هذا الخطأ فيما بعد، والآن أعدَّ كوباً آخر، ويحسن بك ألا تسقطه على الأرضية وعليك أيضاً أن تعطيه للأسير بنفسك وإذا انسكبت منه نقطة واحدة،فسوف آمرك بالشراب أيضاً!

كان الحقد والكراهية واضحين تماماً، في صوت وسلوك قائد الزواحف، وعندما استدار العالم لتنفيذ أمر القائد لاحظ الكابتن (عادل) أنه في هذه المرة، صب السائل من قارورة زرقاء اللون! برغم أن القارورة الخضراء كانت مازالت تحتوي على كمية كبيرة من السائل.

راوده الأمل في أن يكون هذا التصرف له مغزى نافع ولم يخب ظنه.

فعندما اقترب العالم (شادي) منه وبدأ يرفع الكوب إلى شفتي الكابتن (عادل) بإحدى زوائده، وضع شيئاً ما في جيب ردائه الفضائي، ثم مرت عدة ثوان

بعدها بدأ السائل يحدث مفعوله.

❖❖❖

فقد شعر الكابتن (عادل) بكسلٍ تام وخمول في كل جسمه أحس بأنّ ذراعيه وساقيه ثقيلة كالرصاص وسمع صوت قائد المخلوقات الزّاحفة كما لو كان يأتي من مسافة بعيدة جداً وكان الصّوت آمراً مسيطراً.

وأدرك الكابتن (عادل) أن عليه أن يطيعه دون مناقشة:

– أنت الآن دون إرادة ذاتية لك،ويجب عليك أن تطيعني، سوف تعود إلى مركبتك الاستكشافيّة (الإدريسي) مع مساعدك ثم تواصلان رحلتكما إلى كوكب الأرض وتتصرفان كأنّ شيئاً لم يحدث، فإذا اعترضكما أحد فسوف تعطيان الرد الصحيح في مثل هذه المواقف وإذا أستفسر أي شخص عن سبب تأخيركما، ستقولان إن بعض المشاكل الفنيّة قد صادفتكما، وعندما تدخلون الغلاف الجّوي لكوكب الأرض، عليكما أن تجذبا الذراع الأخضر الذي ثبتناه في لوحة التّحكم بجهاز القيادة لمركبتكما الفضائية، وهذا سوف يطلق المادة في الغلاف الجّوي للكوكب.

صمت القائد لعدة لحظات ثم أضاف:

– سوف أقابلكما مرة أخرى أيها الأرضيّان عندما أهبط على كوكبكما وأصبح الزّعيم الأوحد.

تمكن الكابتن (عادل) من فهم كل كلمة والمقصود من هذه التعليمات.

وبرغم أنه بذل مجهوداً ليهرب من اضطراره لقبول تنفيذها، بيد أنّه فشل تماماً!

أدرك بيقين مفعم بالعذاب، أنه عندما يحين الوقت فسوف يجذب الذراع الأخضر ويتسبب بعبودية كوكب الأرض!!

سمع نفسه يكرر التعليمات التي صدرت إليه. بدا الأمر كما لو كان صوته وجسده لا يمتّان إليه بصلة!

❖❖❖

اقتيد الكابتن (عادل) ومساعده (خالد)

وأُعيدا إلى سفينة المخلوقات الزّاحفة ومنها صعدا وهما كالمنومين إلى مركبتهما الاستكشافيّة (الإدريسي) ثم تحركت سفينة الفضاء الهائلة على سطح الكوكب إلى أن وصلت إلى المساحة التي تكفي لإطلاق المركبة الاستكشافيّة إلى الفضاء خلف كوكب (بلوتو).

وهناك كانا وحيدين مرة أخرى ومتجهين إلى كوكب الأرض ومعهما شحنة من القدر المشئوم، لا يمكنهما عمل أي شيء حيالها!

❖❖❖

لم يتحدثا، ونفذا واجباتهما ببطء وآلية دون تفكير، ولكن الكابتن (عادل) لاحظ ـ ببصيص من الأمل ـ أن استجابته كانت أسرع قليلاً منها لدى (خالد) وزاد تحسنها كثيراً في أثناء الرّحلة في الفضاء.

كانا يبتعدان عن كوكب الأرض بمسافة تقل عن ثمانية ملايين كيلو متراً عندما اعترضتهما سفينة مراقبة اتّحادية،أرسل القائد (صالح

ناجي) إشارة للاتّصال المرئي بالليزر ونفذ الكابتن (عادل) الأمر ببطء، وعندما أضاءت الشاشة، عرف وجه صديقه ومدربه القديم الذي كان يبتسم في سرور وودٍّ، قائلاً:

- مرحباً بك ياكابتن (عادل)..! وأنت يامساعد الكابتن (خالد)! كيف الأحوال عندكما؟ لقد علمت أنكما ستقضيان إجازة فوق كوكب الأرض فهنيئاً لكما، وبهذه المناسبة لقد تأخرتما عشرين ساعة عن الموعد المحدد فما السبب في ذلك؟

حاول الكابتن (عادل) جاهداً أن يجيب كالمعتاد ويرحب بالصديق القديم

ولكن صوته لم يكن أكثر من همهمة رتيبة خافتة:

- لقد قابلتنا صعوبات فنية

بدا القائد (صالح ناجي) متحيّراً، ثم قال بتردد:

- ما الأمر يا (عادل)!؟ إن هذه ليست تحية لصديق قديم،إن صوتك يبدو متغيّراً قليلاً فهل أنت على مايرام ؟!

أجابه الكابتن (عادل) بصوته الرّتيب مكرّراً نفس عباراته السابقة:

- لقد واجهتنا صعوبات فنية.

ثم أدرك أن هذه هي الطّريقة الوحيدة التي يمكن للقائد (صالح ناجي) أن يعرف أنهما في محنة كبيرة فأخذ يكررها مرّات عديدة.

فهم القائد صالح الأمر، كما كان يأمل الكابتن (عادل) وقال بتؤدة:

- حسن.. لقد تلقينا الرسالة، وسوف نلحق بك في أقرب وقت ممكن.

ثم استدار لإصدار أوامره إلى أفراد طاقم القيادة، قائلاً:

- شغّل جهاز الأشعّة الكهرومغناطيسيّة لسحب المركبة الاستكشافيّة (الإدريسي) وسوف نتصل بك مرة أخرى ياكابتن (عادل).

انقطع الإرسال من فوق الشّاشة ولاحظ الكابتن (عادل) حدوث ثورة من النّشاط في سفينة المراقبة، ثم لم يلبث أن شعر للمرة الثانية بالضّغط المدمّر للأشعة الكهرومغناطيسية التي أصابت مركبته الاستكشافيّة بالشّلل التّام

❖❖❖

وبدأ يشعر أيضاً بصفاء أكثر في ذهنه وبقدرته على تذكّر بعض الأشياء ونظر إلى مساعده (خالد)ولكن صديقه كان مايزال تحت تأثير العقار الذي يسلب الإرادة.

بذل الكابتن (عادل) جهداً خارقاً ليطلب الاتّصال بسفينة المراقبة عندما أدرك ماالذي يوشك قائدها أن يفعله.

وبعد عدة لحظات مروّعة، بدت كأنها سنوات طويلة، حرك يده المرتعدة تدريجياً إلى كمبيوتر الاتّصالات وضغط على ثلاثة أزرار خضراء في لوحة المفاتيح.ظهر الوجه الوسيم للقائد (صالح ناجي) على الشاشة، وقال وهو مقطب الجبين:

- ماهو الموقف ياكابتن (عادل)؟ إنك تعرف بأننا سوف ننتهي من الأمر بأسرع ما يمكننا.

أجبر الكابتن (عادل) نفسه على هز رأسه بعنف وأطلق كلمة واحدة:

- خطر!

ولم يكن قائد سفينة المراقبة أحمق فاستدار في الحال من الشاشة، وأصدر أمراً جديداً لأفراد الطاقم، قائلاً:

- أوقفوا تنفيذ الأمر الخاص بالاقتراب.

ثم وجه حديثه إلى الكابتن (عادل):

- والآن أرجوك أن تعطيني فكرة ما عما يجري من أمور؟ ماهو نوع الخطر الذي تواجهه؟!

أومأ الكابتن (عادل) برأسه وهو يشعر بزيادة صفاء ذهنه بسرعة واختفاء ثقل حركة أعضاء جسمه.

قال بضعف وتلعثم:

– كنت مخدّراً (خالد). أيضاً الزّواحف المخيفة على كوكب بلوتو!

أصيب القائد (صالح) بدهشة بالغة وقال باهتمامٍ شديد:

– الزّواحف المخيفة على كوكب (بلوتو)! هل أنت جادّ يا (عادل)؟!

تمالك الكابتن عادل نفسه وبذل جهداً جبّاراً لكي يكمل حديثه:

– أجل سفينتان حربيّتان هائلتان، مركبتنا الفضائيّة محمّلة بعقار ما لإطلاقه في الغلاف الجّوي لكوكب الأرض لاتقتربوا منا أو تهاجمونا!

ثم تذكّر فجأة أنّ عالم المخلوقات الزّاحفة (شادي) وضع شيئاً ما في جيبه فأخذ يبحث عنه.

كانت رسالة مكتوبة باللغة المشتركة للاتّحاد الأرضي وهي:

– لقد خففت العقار، فإذا أفقت في الوقت المناسب فلا تهبط على كوكب الأرض، فالمواد التي تحملها ليست العقار الذي يسلب الإرادة وإنما هي حيلة! وما تحمله هو وعاء به جراثيم معدلة بالهندسة الوراثية بحيث اكتسبت صفة مهاجمة التركيب البللوري للمعادن

وتحطيمه! وهي تتضاعف بالانقسام عند التلامس مع الهواء الجّوي فإذا أطلقت هذه الجراثيم المعدلة، فإن جميع المعادن ـ أياً كان نوعها ـ يصيبها الانهيار التام.

إنّ قائد الزواحف مجنون وسوف يدمرنا جميعاً فإذا قرأت هذه الرسالة، يجب أن تعود إلى كوكب (بلوتو) والمختبر حتى يمكنني معادلة هذه القاعدة الكيميائيّة النشطة وأنا لا أفعل هذا من أجل الاتّحاد الرياضي ولكن من أجل جنس المخلوقات الزاحفة ولإنقاذهم من براثن قائد مجنون!

❖❖❖

ويبدو أن فحوى الرسالة وما احتوت عليه من أمور غريبة، قد أسرعت بعودة كابتن (عادل) إلى وعيه الكامل وأصبح بإمكانه إبلاغ هذا الموقف الرهيب إلى قائد سفينة المراقبة، وكذلك تفسير الأحداث التي مرت بهم.

– استمع إليّ أيّها الصديق، الواضح أن عالم المخلوقات الزّاحفة كان يحاول الانتقام من قائده المجنون، والآن أبعدو أشعة السحب عني ولسوف أعود إلى كوكب (بلوتو) لأجد حلاً لهذا الموقف، فأنا لا أجرؤ على الهبوط فوق كوكب الأرض إلا بعد التّخلص من هذه الشحنة المشؤومة!

وافقه القائد (صالح ناجي) بعد أن بدأت أبعاد رسالة المخلوق الزّاحف تتضح في ذهنه.

تحدث إلى الكابتن (عادل) بفزع:

- يا إلهي! إذا كان ما تقوله صحيحاً، فتصوّر الخراب والدمار الذي سيحدث فوق كوكب الأرض، ولا أظن أنّ شيئاً سوف ينجو من هذا المصير حتى الآلات والكمبيوترات والجّسور والسيارات والمباني ومحطّات توليد الكهرباء وأجهزة تنقية المياه وكل مظاهر الحياة والحضارة! إن هذه كارثة تحيق بكوكب الأرض كله!

تريث الكابتن (عادل) قليلاً.. ثم تهالك فوق مقعد.. بالقرب من شاشة كمبيوتر الاتّصالات.. ثم أومأ مبتسماً.. وقال:

- لهذا يجب أن أعود إلى كوكب (بلوتو)! لأنتقم من هذه المخلوقات الزّاحفة وقائدهم، ويفضّل أن تحذر مركز القيادة الاتّحادي فوق كوكب الأرض من خطورة الموقف، وأن تتبعنا على مسافة كبيرة معقولة فلربما أحتاج إلى مساعدتك، وإذا فشلت فعليك تدمير مختبر (بلوتو) تماماً بحيث لا يبقى منه أي أثر فهذا هو الحل الوحيد.

ودع الكابتن (عادل) صديقه القائد (صالح) وانطلق بمركبته الفضائية الاستكشافية (الإدريسي) بأقصى سرعة إلى كوكب بلوتو!

-٨-

بدأ الكابتن (عادل) في التفتيش في كل أرجاء مركبته الفضائيّة عن وعاء الجّراثيم المدمرة. وجده بعد فترة طويلة، وقرر أن يتركه في مكانه ثم رجع إلى لوحة التّحكم بجهاز القيادة.

❖❖❖

كان مساعده الكابتن (خالد) ما يزال قابعاً في غرفة القيادة يحدّق أمامه في لا شيء.

قال له الكابتن (عادل) برقّة بالغة:

- لن يستمر ذلك طويلاً أيها الصديق العزيز، لقد أعطوك جرعة كاملة من هذا العقار الذي يسلب الإرادة، ولكنني سوف أخلّصك منه فإذا أدركت ما أقول، فستعرف أننا مضطران للعودة إلى كوكب (بلوتو) أولاً لمواجهة المخلوقات الزّاحفة هناك وخاصة قائدهم المجنون!

لم يرد عليه (خالد)..

تنهد الكابتن (عادل) ونهض للتأكيد من تسليح مركبته الفضائيّة، ووجد كل الأسلحة سليمة لم تمس!

مدفع الليزر.. أشعة جاما الحارقة.. صواريخ النيوترون.. لقد كان قائد المخلوقات الزاحفة واثقاً تماماً من نجاحه حتى إنه لم يفكر في إزالة أسلحة المركبة الفضائية الاستكشافيّة (الإدريسي).

❖❖❖

وعندما اقتربا من كوكب (بلوتو) أخذ الكابتن (عادل) يقدح زناد فكره للتّوصل إلى خطة تمكنه من تحقيق هجوم ناجح على المخلوقات الزّاحفة،فإذا كانوا داخل سفنهم في الفضاء، فلن يتمكن من مهاجمتهم وهو بمفرده من دون مساعدة من (خالد).

أما إذا كانوا ما يزالون بالكهف الواسع، فربما كان بوسعه تحقيق نصرٍ عليهم،

ولكنه لا يجرؤ على تدمير قاعدتهم الحربيّة إذا أراد أن يحصل على رجال الأرض الأسرى أحياء.

كان لا بدّ من وجود طريقة ما، ولكن حتى الآن ليس لديه أي فكرة عنها!

ضبط الكابتن (عادل) أجهزة الاستشعار عن بعد على أقصى مدى لها وعندما دخل مدار كوكب (بلوتو)، قام بعمل استطلاع حذر لسطح الكوكب وشعر بسعادة بالغة عندما اكتشفت مكان السفينتين الجبارتين للمخلوقات الزّاحفة. أدرك وقتئذ أنّ لديه ميزة هائلة وتفوقاً مؤكداً، لأنهم لن يتمكنوا من تشغيل كلٍ قوتهم

حتى يصبحوا في الفضاء. وعندما اقتربَ أكثر من كوكب (بلوتو)، مزّقه الشك فيما إذا كان يمكنه الهجوم بكل أسلحته والمخاطر بقتل الأسرى الأرضيين!

وفجأة خرج الأمر من بين يديه، إذ قبض (خالد) على الذراع الأخضر الموجود على لوحة التحكم، في جهاز القيادة، وجذبه بعنف إلى أسفل مطلقاً شحنة الجراثيم المدمرة التي قصد بها كوكب الأرض أصلاً.

وتحدّث (خالد) لأول مرة، قائلاً:

- اجذب الذراع الأخضر عندما تصلان إلى مدار كوكب الأرض، ثم تنهّد بارتياح.

وبقي صامتاً ودهش كابتن (عادل) عندما شاهد قطرات الدموع تتساقط من عيني (خالد) وهو يتكلم مرة أخرى.

- لقد .. دمرت.. كوكب.. الأرض..!

وضع كابتن (عادل) يده على كتفه، قائلاً له:

- كلا يا (خالد) إن هذا الكوكب الذي تحتنا هو (بلوتو) وكل ما فعلته أنك رددت شحنة الموت إلى المخلوقات الزّاحفة، انظر!

ضبط كابتن (عادل).. جهاز الرّؤية عن بعد على أقصى مدى له بحيث ظهر سطح كوكب (بلوتو) مكبّراً فوق الشّاشة المجسّمة وبعد فترة شاهد وعاء الجراثيم المدمرة وهو يهبط بصاروخ صغير، ليصطدم بسطح الكوكب المغطّى بالثلوج خلف السفينتين الحربيتين مباشرة.

حدق كابتن (عادل) بدقّة شديدة في شاشة الكمبيوتر ولكن لم يلاحظ حدوث أي تغيير!!

وكان ظاهراً أن السفينتين الجبارتين تستعدان للإقلاع لمهاجمة المركبة الفضائية (الإدريسي)

كثّف الكابتن (عادل) من درع الدّفاع لأقصى ما يمكن، ثم بدأ محاولة الاتّصال مع سفينتي العدو. وظهر على شاشة الرّؤية بكمبيوتر الاتّصالات الوجه المخيف لقائد المخلوقات الزّاحفة:

- إذن لم يُعط لكما العقار أيها الأرضيين!! ذلك يعني أنّ بيننا خائناًوسوف أقتله بعد الانتهاء منكما، والآن استعدّا للموت، فلن يمكنكما مقاومة سفينتين ضخمتين للزّواحف!

-٩-

عقب ذلك أصدر قائد الزّواحف صفيره الذي يعبّرعن الأوامر التي يصدرها إلى جنوده.

ولم تلبث الأشعّة المدمرة أن انطلقت من السفينتين في اتّجاه المركبة الفضائيّة (الإدريسي) ناور الكابتن (عادل) بشدّة، وابتعد عن مرمى الأشعّة ثم اقترب فجأة من السّفينتين وردّ بإطلاق الصّواريخ النيوترونيّة ولاحظ بارتياحٍ شديد أنّه أصاب كلتا السّفينتين ببعض الصّواريخ.

ولكنّه لم يُحدِث بهم إصابات مؤثّرة بما يكفي لشلّ حركتهما ! إذ سرعان ما ارتفعتا وانطلقتا في الفضاء استعداداً للانقضاض بزاوية حادّة.

واصل كابتن عادل إطلاق مدافع الليزر ولكنهما كثفا من الدّروع الدّفاعية.

قال الكابتن (عادل) لـِ (خالد):

– لقد بدأ القتال أيها الصّديق، سأفعل ما في وسعي لإحداث أكبر إصابات ممكنة ثم اسحبهما نحو كوكب الأرض حتى يمكننا الحصول على معاونة من أسطولنا الفضائي.

❖❖❖

وفجأة حدث أمرٌ غريب!

فقد بدأت إحدى السّفينتين الجبّارتين التّابعتين للزّواحف في التّفسخ والتّحطم، وسقطت أجزاؤها على سطح كوكب (بلوتو) ثم حدثت عدة انفجارات هائلة بها وتناثر حطامها إلى مسافاتٍ بعيدة في كل الاتّجاهات.

قال الكابتن (عادل) بارتياح:

– لقد انتهى أمرها إلى الأبد !

وبعد ذلك بدأت السّفينة الأخرى في الدّوران الحلزوني الهابط السريع وأجزاؤها تتساقط بعيداً عنها،كان ذلك شيئاً خارقاً للطّبيعة.

وأدرك الكابتن (عادل) أن الجراثيم المدمّرة هي المسؤولة عمّا حدث، إذ إنَّ تركيزها كان شديداً بجوار السفينتين الفضائيتين بما يكفي لسرعة تحقيق تأثيرها الفتاك.

شاهد السّفينة الثانية وهي تنفجر، فهز كتفيه.. والابتسامة تعلو شفتيه بعد أن أدرك أنّ كوكب الأرض وطنه الأكبر قد نجا من مصير بشع يهدم كل حضارته!

❖❖❖

مرّت ثلاثة أسابيع تمتّع خلالها كابتن (عادل شرف) ومساعده (خالد هاشم) بالاسترخاء على شاطئ (طابا) بسيناء متمتعين بهذه الإجازة بعد كل مامر بهما من أحداث.

عندما تذكر (خالد) المعركة الأخيرة مع الزّواحف المخيفة قال:

أتدري يا كابتن (عادل)؟ لقد كنت أعرف تماماً مايحدث، ولكن لم يكن بوسعي أن أفعل أي شيء!

هز الكابتن (عادل) رأسه مؤمناً:

- أعرف كيف كان شعورك يا (خالد)، إن كل ما أذكره بعد تدمير سفينتي الزواحف أنني كنت أفكر في كيفية إخراج رجال الأرض من على كوكب (بلوتو).. وكان من حسن حظنا أن العالم (شادي) كان لا يزال على الكوكب في الكهف الكبير وإلا لما جرؤنا على الهبوط على الكوكب!

قال (خالد) مبتسماً:

- عموماً أمامنا أسبوع واحد فقط ونعود إلى القتال.

تمدد كابتن (عادل) على الرّمال البيضاء الناعمة وهو يرمق جبال سيناء الشّامخة القريبة، ويتمتع بالأشعة الحانية للشّمس.

رد قائلاً وهو يضحك:

- لا أظن أنني سأتحمل أسبوعاً كاملاً دون أن أقاتل الزّواحف المخيفة!

❖❖❖

صديقٌ من كوكب آخر

-١-

نسيت كلّ شيء عن العميل الغريب حتّى قابلته في اليوم التّالي بينما كنتُ أتمشّى ظهيرة يوم الجمعة في الحديقة القريبة من منزلي في الجيزة.

وكنت معتاداً – بعد إحالتي إلى المعاش — أن أشتري كل احتياجاتي من سوبرماركت صغير يملكه أحد أصدقائي (سليم زكي).

وهناك قابلت العميل الغريب (سامي سلامة)كان صاحب السوبرماركت هو الذي لفت نظري إليه حينما كنت أدفع النّقود في الخزينة.

همس إليّ قائلاً:

– هذا الرجل هناك الذي يرتدي الحلّة السّوداء إنّه يقلقني كثيراً!

وهزّ رأسه في اتجاه رجل طويل القامة في أواسط العمر يقف بعيداً عنّا قليلاً، ويتفحص بدقة بالغة علبة من الفول المدمس المحفوظكما لو كان أحد المنتجات الجّديدة الغريبة التي لم يسبق لأي شخص رؤيتها!

وفي أثناء ملاحظتي له، أعاد العلبة بحرصٍ إلى الرّف ثم أخرج من جيبه مفكرة حمراء اللون وخطّ فيها بعض الكلمات.

قال لي (سليم):

– هل شاهدت ما فعله؟ هذه ليست أول مرة، إنه دائماً ينظر إلى أحد الأصناف ثم يكتب بعض الكلمات في مفكرته!!

عبّرت عن رأيي، قائلاً:

– لعلّه مفتش تموين!

انكمش (سليم) في نفسه قليلاً ثمّ جمع قواه، وقال:

– وماهو الشيء الموجود هنا والذي يحتاج للتّفتيش عليه؟

إنّ معظم بضائعي معلبات كما ترى.

وعندما غادرت السوبرماركت كان العميل الغريب ممسكاً بعلبة مسحوق صابون للغسيل يتفحصها باهتمامٍ شديد!

❖❖❖

وفي اليوم التّالي شاهدته جالساً بمفرده في حديقة الأورمان القريبة من حديقة الحيوان واضعاً جريدة بجانبه على الأريكة الخشبيّة.

وتساءلت عما يمكن أن يحدث لو مررت بجوارهدون أن ألتفت إليه.

ولكن لكي أكون صادقاً.. فإنني – مثل معظم المحالين على المعاش -أجد أيام الجمع أيّاماً موحشة.

وكنت في حاجة إلى صحبة قصيرة أتحدث فيها مع أي إنسان،حتى ولو كان ذلك عن الطقس!

وبعد فترة من التردد جلست بجواره على الأريكة.

لم يتحدث أي منا للآخر لفترة..

ثمّ لم أستطع الانتظار أكثر،فقلت بودّ:

- الطّقس جميلٌ منذ أيام..

وكانت هذه عبارة شائعة لافتتاح الحديث مع الآخرين.

واعتقدت أنها ستكون كافية لذلك،ثم أضفت بعد فترة:

- ولكن ربما يكون الجّو حارّاً قليلاً،فنحن مازلنا في شهر مايو..

التفت إليّ بعينين سوداوين حزينتين، وقال:

- إنّ ذلك يتوقف على ما اعتدت عليه، فأنا شخصيّاً لا أجد الجوّ حاراً على الإطلاق!

ولأنّ الجو كان حاراً فعلاً، مع رطوبة مرتفعة، فقد صدمتني هذه الملاحظة وقلت له مبتسماً :

– لاشك أنك تقضي معظم وقتك خارج البلاد !

قال بصوتٍ هامس:

– يمكن أن تقول ذلك!

وبرغم أنّ الحديث لم يكن مشجعاً ،إلا أنني استطردت، قائلاً :

– لقد رأيتك في السوبرماركت أمس ويبدو أنّك سببت قلقاً لصاحبه إذ ظنك مفتشاً للتّموين وأنّ هناك مخالفة ما !

معظم الناس يثرثرون في مثل هذا الموقف.

ولكنه بقي صامتاً ..

وعموماً فلا أحد يهزمني بمثل هذه السهولة!!

وهكذا أخذت أقدح زناد فكري بحثاً عن موضوع جديد للحديث، وانتبهت إلى أنّ الجريدة التي بيننا مفتوحة علىً مقالة مثيرةعن الأطباق الطائرة!

فقلت له :

– موضوعٌ مثيرٌ جداً، الأطباق الطائرة،إنني لا أعتقد في وجودها !

ولأول مرة يوليني اهتمامه بالكامل، ويقول بحماس:

– لست معك ﷺ هذا الرأي،فلماذا لاتعتقد ﷺ وجودها؟

شعرت بسعادة غامرة لأننا أخيراً وجدنا موضوعاً للحديث،قلت وأنا أحدّق ﷺ وجهه:

– كلّ هذا هراء! عن أمور تحدث خارج كوكب الأرض، تهبط من الفضاء وتصعد إليه مرة ثانية، فإذا كانت الكائنات الأخرى تريد أن نراها، فلماذا لاتهبط ﷺ ميدان الجيزة أو ميدان التحرير بدلاً من اقتحام خلوة مزارع يقيم ﷺ قرية منعزلة بالوجه القبلي ربّما يتهيأ له أشياء غريبة نتيجة للوحدة الموحشة التي يعيش فيها!

دبّت الحياة فيه أخيراً وهذا ما زاد من سعادتي، قال بتؤدة:

– يجب ألا تكون متشدداً هكذا ﷺ مثل هذه الأمور..

وكنت على ثقة بقدرتي على الحوار، وبأنه يمكنني أن أخرج أي إنسان من قوقعته!

أضاف بحرص:

– وقمة الغرور أن تعتقد أقصد نعتقد أن كوكب الأرض هو الوحيد ﷺ المجرة التي تحتوي على البلايين من الشموس التي توجد عليها الحياة!

توقف ومال إلى الأمام ثم وضع أصابعه النحيلة على ذراعي، وقال:

– إنني أعتذر لك لقد كنت فظاً جداً معك إن لك الحق أن تعتنق الرأي الذي يروق لك.

وبعد ذلك أخذ يثرثر معي من دون تحفظ كان اسمه (سامي سلامة)، وقد عاش خارج مصر لسنوات طويلة وعمل في وظائف متعددة لم يستطع أن يفشيها ليلأسباب أمنية!

وقال لي و هو يشرد بعيداً:

- لقد جعلني هذا على معرفة تامة بما يحدث داخل البلاد.

ثم نظر إليّ بيأس، وقال:

- إنني أحياناً أجد نفسي في حيرة..

استمر يحدثني عن صعوبات الانسجام مع عالم يبدو أنه نسيه، وأخيراً خفف صوتهوحدق في الفضاء.

قلت له وأنا أحدق في وجهه:

- إنك تحتاج إلى صديق لكي يخرج معك ويخبرك بما لاتعرف ويكون عوناً لك.

نظر إليّ بامتنان،ثم ابتسم وقال:

- هذا عطف كبير منك.

وضعت يدي على كتفه وقلت في ودّ:

- لا تشغل بالك بهذا، يمكننا أن نتقابل بانتظام إذا أردت، فأنا على المعاش، وليس لي عمل.

وحتى الآن، لا أستطيع أن أفكر في ما حدث لي مساء ذلك اليوم، فأنا بطبيعتي انطوائي، أعيش وحيداً، أقضي معظم وقتي في القراءة ولا أحب صحبة أحد إلا في أضيق الحدود،ولكن ها أنا أضحي بوقتي لغريبٍ عني تماماً! ليس ساعة أو ساعتين وإنما على فترات طويلة منتظمةٍ، وأظن أنّ ذلك يرجع إلى أنّه تحت الغطاء الظاهري البارد لي،يوجد قلب طيب يحب الناس وعلى أي حال كنت مهتماً بهذا الرجل الغريب (سامي سلامة).

وكنت أسأل نفسي دائماً:

- من أين أتى؟ وماذا كان يفعل خارج البلاد؟

صممت على معرفة الإجابة على هذين السؤالين وبضعة أسئلة أخرى.

كنا نتقابل كل يومين عادة لتناول وجبة خفيفة في أحد المطاعم الصغيرة، وللتحدث في أمور مختلفة.

بينما كان يدون ملاحظات كثيرة بلغة عربية، لعلها نوع من الاختزال كان بالتأكيد رجلاً غريب الأطوار.

بدا لي ملمّاً بشؤون العالم، الحروب، المجاعات، التّلوث، التّقدم العلمي والتكنولوجي ولكنه يجهل تماماً أبسط الأشياء، مثل الأسماك والأكلات الشعبيّة وكرة القدم!

بدا واضحاً أنّه رجل عاش في بقعة بعيدة عن مصر لايريد أن يفصح عنها وكانت تصله فيها بانتظام صحفنا اليومية.

ولعل عنده مكتبة عتيقة،ينكب عليها وقت فراغه.

ولسبب ما .. لا أستطيع أن أشرحه، حتى لنفسي، وجدتني أحب هذا الرجل ولكن كلما حاولت أن أعرف أي شيء عنه، كنت أرجع بخفي حنين و كثيراً ما كان يخرج مفكرته الحمراء ويسألني عن الأشياء التي اشتريتها من سوبرماركت (سليم) سواء للإطعام أو للاستخدام المنزلي.

وهذا يفسر بالطبع، لماذا كان مهتماً جداً بالبضائع الموجودة على الرفوف هناك.

فما هو السّر وراء ذلك؟

-٢-

قلتُ له في مناسبة ما، وكنا جالسين في مطعم صغير بمصر الجديدة:

- يبدو أنك لا تعرف سوى القليل عما يقع من أحداث، إنّ أي شخص سوف يعتقد أنّك من كوكب آخر!

فوجِئ تماماً، ونظر إليّ بفزع، وقال:

- هل أبدو بمثل هذه الصورة من الانعزال عن أمور الناس؟

قلت له مؤكداً:

- بل أنت كذلك فعلاً!

فبدت في عينيه نظرة حزينة.

الشيء الوحيد الذي عرفته عن (سامي سلامة) كان المنزل الذي يقيم فيه، وحتى هذا عرفته بمحض الصدفة، عندما وجدت العنوان مكتوباً بالقلم الرصاص أعلى جريدته، ولا شك أن بائع الصحف هو الذي كتبه لتوصيل الجريدة إليه.

❖❖❖

قررت في إحدى الأمسيات أن أزوره في منزله دون إذن مسبق،فقد مرّت فترة طويلة دون أن أراه لعلي أكتشف ذلك السّر الذي يخفيه عني، عن طبيعة عمله!

وصلت إلى المنزل بسهولة، في أحد الشّوارع الجّانبية بمنطقة الرّوضة وكانت شقته في نهاية رواق مسدود وعندما أوشكت على الضّغط على الجّرس، لاحظتُ أنّ الباب غير مغلق، دفعته بلطف فانفتح وظهر أمامي ممرٌ مظلم تماماً!

ترددت، وقلت لنفسي:

- هل أظلّ مكاني؟ وأضرب الجرس! أم أدخل؟

واخترت الأمر الثاني على أساس أنّه لو كان (سامي سلامة) خارج الشقة،فإنه ستتوفر لي فرصة البحث بحريّة في أرجاء المكان!

وهذا أمرٌ لا يمكن الصفح عنه بالطبع. إلا أنّ فضولي كان أقوى من كل شيء!

كان المنزل كله صامتاً. ناديت بهدوء مرة أو مرتين تاركاً الباب مفتوحاً.. لعل (سامي سلامة) موجود في مكان ما في الشقة..

وعندما لم أسمع رداً، أغلقت الباب بخفة وبدأت أرتاد المكان ببطءٍ شديد.

كانت الحجرات الثلاث مؤثثة جيداً، وتوجد سجاجيد لا بأس بها ولكن كان الجو المخيّم غريباً إلى حدٍ ما.

فلم يكن هناك أي شيء ذو طبيعة شخصية في أي مكان بالمنزل، حتى الدّواليب اكتشفت أنها خالية تماماً من الثياب! وكان هذا أمراً غريباً.

اعتقدت في بادئ الأمر أنّ (سامي سلامة) قد أجر شقته، وغادرها إلى مكان آخر.

وكنت سوف أغادر الشقة مسرعاًعندما شاهدت مجموعة من السّلالم تهبط إلى غرفة النوم!

وبعد تردد استمر لعدّة دقائق، شرعت في النزول عليها إلى أسفل، وأنا لا أدري ما الذي سوف أجده هناك كان السّكون يغلّف المكان تماماً أفضى بي الدرج إلى ممرٍ مظلم قادني بدوره إلى بابٍ مفتوح يدخل منه إشعاعٌ عجيب لا يشبه أيّ ضوء أرضي! ولكنه يضيء الممر بما يكفي لكي أستطيع السير فيه..

أعمى الإشعاع عيني عندما خطوت إلى داخل الغرفة في نهاية الممربحيث لم أستطع أن أرى جيداً ما بداخلها!

شعرت بخوف مفاجئ، ولكنني تمالكت أعصابي وسخرت من مخاوفي،

مرّت لحظات قبل أن تعتاد عيني قليلاً هذا الضوء.

وجدت أنّ الغرفة متوسطة المساحة، مؤثثة بأقل قدر ممكن من الأثاث.

كانت هناك مكتبة في الركن الأيمن ترتفع حوالي مترين، ممتلئة بالكتب القديمة ذات الأغلفة السوداء، ومنضدة منخفضة عليها ما يشبه جهاز الفيديو ولكنه لم يكن كذلك! ثم مقعدان وثيران أحدهما في منتصف الغرفة والآخر في الركن الأيسر،وعندما شاهدت ما الذي يجلس على المقعد البعيد، أطلقت صرخة رعب في الحال!

-٣-

فقد كان هناك على المقعد مخلوقٌ غريب يمكنني أن أصفه بوحشٍ غزير الشعر، منتفخ الجسد، على ذراعيه وساقيه ما يشبه الفراء الكثيف.

كان جالساً على المقعد وفي يده اليسرى كتابٌ مفتوح مستغرقاً في النوم.

أيقظته صرختي على الفور،فتحدث بصوت (سامي سلامة) المألوف لي:

- ما الذي جاء بك إلى هنا؟ وكيف عثرت علي؟

وبعد أن لاحظ المخلوق الغريب نظرة الرعب التي ارتسمت على وجهي، أضاف بلهجة اعتذار:

- أنا آسف.. لا شك أنك ذُعرت قليلاً عندما رأيتني هكذا ولكن عندما أكون وحيداً، أجد أنه من المريح أن أكون على سجيتي!

وتحركت يَدٌ - إذا أمكنك أن تصفها بذلك - تجاه المقعد الآخر وقال:

- تفضل بالجلوس!

تابعتني عينان منتفختان بينما كنت أتهالك فوق المقعد، أردف قائلاً بعد أن جلست:

– قبل أن تخبرني كيف جئت إلى هنا، أرى من الأفضل أن أفسر لك بعض الأمور أولاً ..

انتابني خوفٌ شديد، شلّ تفكيري وأنا أجلس وحيداً مع هذا المخلوق البشع الذي له صوت صديقي (سامي سلامة).

كان جسدي متصلباً كرجل في طريقه إلى حبل المشنقة!

وأخذ المخلوق الغريب يقصّ علي حكايته.

❖❖❖

إنّه أحد سكان كوكب (توجا) الذي يدور حول نجم الشعري اليمانية على بعد نحو أربع سنوات ضوئيّة من كوكب الأرض، ويمكن لسكان كوكب (توجا) التّحول إلى شكل البشر كلما أرادوا ذلك، حتى يقضوا إجازاتهم فوق كوكب الأرض!

وقال المخلوق بتأكيد:

– لكن هذا لا يسمح به إلا للعاملين الذين تجاوزوا حجم العمل المحدد لهم، وأعتقد أنّ هذا النوع من المكافأة غير شائع في بلدكم هذا، إذ إن معظمكم لا يريدون تجاوز معدّلات العمل المطلوبة منهم!

نظر إليّ بعينيه المرعبتين مستفهماً وقال:

- إنني حريص جداً على سماع أفكارك عن هذا الموضوع. لو كنت قد حاولت مرة في حياتك أن تجري حواراً مع وحشٍ غزير الشعر منتفخ العينين ذي فراءٍ كثيف، لأمكنك أن تدرك مدى الصعوبة التي واجهتها للإجابة عن سؤاله..

اكتفيت بإطلاق زفرات متقطعة..

قال بعد عدة لحظات:

- يبدو أنك لا تريد أن تعبر عن وجهة نظرك في هذا الصدد.

إنني أفهم أن هذا الأمر محل خلاف بين الجميع.

حدّق في وجهي بعينيه المخيفتين لبعض الوقت، ثم قال:

- اهدأ ياعزيزي فإنني لن أسبب لك أي ضرر.

و أغرب ما في الأمر، أنني شعرت بهدوء مفاجئ و أمكنني أن أنطق بعض الكلمات..

قلت متلعثماً:

- مما.. قلته.. لي.. أظن.. أنه.. يوجد.. الكثير.. منكم.. هنا!

قال بسرعة:

– أجل، لقد داومنا على زيارتكم لسنوات طويلة وفي غضون ذلك، أقمنا مكتبة ضخمة عن العالم وسكانه وتحتوي أيضاً على بعض المعلومات الخيالية و القصصية ولكن معظمها قديم رث مثل هذا!

وأراني الكتاب الذي مايزال يمسكه بيده اليسرى.. وأضاف:

– غزاة من المريخ تأليف (سامي سلامة) الذي استعرت اسمه، إنه كتاب سخيف، مضحك!

قلت بضعف:

– إنه ليس كتاباً سيئاً، لقد ظننت دائماً أنه كتاب قيّم من أدب الخيال العلمي.

تجاهل المخلوق الغريب ذلك، وقال:

– حيث إننا هنا، لقد عرفت أن سجلاتنا فقيرة جدّاً في مجالات شؤون حياتكم اليومية، وخصوصاً مايتعلق بطبقات مجتمعكم نظر إلي بما اعتبرته ابتسامة ودودة وواصل حديثه:

– والآن قل لي كيف اكتشفت أين أقيم!

وعندما أخبرته، أومأ برأسه الضخم، وقال:

– حقاً! إنني أجد نفسي مضطراً لإبلاغ رؤسائي بهذا الخطأ الذي وقعت فيه، حتى لا يتكرر ذلك مرة أخرى.

خيّم الصمت لفترة قصيرة.. تمكنت خلالها من اختلاس نظرة إلى ساعتي دون أن ترتعد يديّ كثيراً تمتمتُ قائلاً:

- لقد كان ذلك ممتعاً حقاً، ولكن الواقع أنه يجب علي أن أنصرف الآن.

ردّ المخلوق الغريب بسرعة:

- لا.. لا.. ياصديقي العزيز، يجب ألا تذهب، إن لدي مفاجأة سارة لك، لقد كنت طيباً و نافعاً لي لدرجة أنني تحدثت مع رؤسائي عنك بطريق التخاطر عن بعدفوافقوا أن أصحبك معي لقضاء إجازة قصيرة فوق كوكبنا وهم يعتقدون أنك ستكون مفيداً جداً لنا بذكر المزيد من المعلومات التي يمكن أن نملأ بها سجلاتنا.

أعطاني اليأس المطبق الذي شعرت به، تلك الشجاعة المفاجئة لكي أقول وعلى وجهي نصف ابتسامة:

- كنت أتمنى هذا! ولكن كيف أصل إلى هناك؟

قال المخلوق الغريب مؤكداً:

- بالطبق الطائر! فما هي الطريقة الأخرى التي تتصورها؟

تمكنت بشكلٍ ما من النهوض من مقعدي، وقلت هامساً:

– إنّ الطيران بأي شكلٍ من الأشكال لا يناسبني إطلاقاً، ولذلك فإنني مضطرٌ للاعتذار عن طلبك الرقيق هذا..

ردّ المخلوق الغريب بحدّة:

– آسف..!!

وكانت هناك نبرة حديدية في صوته..

واستطرد قائلاً:

– إنني أصر على طلبي، ويجب أن نغادر كوكب الأرض هذه الليلة!

وكانت هذه آخر كلمات سمعتها قبل أن نغادر المكان.

–٤–

حسنٌ.. لقد عدت الآن،لقد كانت رحلة رائعة مليئة بالأحداث..

كان المخلوق الغريب وكل مواطنيه غاية في الرّقة وحسن الضيافة وقد عشت معهم سعيداً راضياً بمجرد أن اعتدت على شكلهم الذي أعترف أنه غير مقبول فعلاً!

أما كوكب (توجا) الذي يعيشون فوقه فهو جميل ورائع ولكن لن أذكر لك شيئاً عنه، إذ لا أريد من الناس الآخرين أن يتطفلوا علي في

هذا الأمر..! خصوصاً أنّ صديقي المخلوق الغريب قال إنه يمكنني أن أعود إليهم في أي وقتٍ أشاء..

ولكن الأطباء يقولون لي إنني لا أستطيع أن أذهب إلى منزلي في الوقت الحاضر. إذ أنهم يحتفظون بي في مبنى محاطٍ بالأسوار مع مجموعة من الزملاء الذين لهم تجارب مثيرة مع كائنات أخرى، تماماً كما حدث لي! وربما يمكنني أن أعود إلى منزلي في غضون فترة عام أو عامين!

هكذا قال لي الدكتور (حسام فوزي) الطبيب بالمستشفى، وعندما يحين الوقت لن أفكر مرتين، إذ سوف أنطلق إلى كوكب (توجا) لأقضي فيه بقية عمري مع صديقي الكائن الغريب!

❖❖❖

الحب في محطة الفضاء

وضعوا جسده في سائل النيتروجين، في درجة حرارة مائة وتسع وستين درجة مئويّة تحت الصفر.

تصلّبت أعضاؤه وجفّ الدّم في عروقه، توقّف القلب، وتراكمت بلّورات الثّلج على كل جسمه ثم غطوه برقائق الألومنيوم و الفضّة ووضعوه داخل تابوت من الرصاص. وقالوا له إن جسده سيبقى في حالة التّجميد المؤقت حتى يتمكن العلم من اختراع الدّواء الشافي لمرضه العضال.

ربما بعد مئة عام سوف يعيش مرّة أخرى في صحّة جيدة!

-١-

أحس بدفء مفاجئ، تباعد جفناه في بطء وفتح عينيه اللتين أخذتا تطرفان في الضّوء الشّاحب للغرفة ذات الجّدران المعدنيّة الرّماديّة.

كان هناك زائر لم يتبين ملامحه، يجلس بالقرب من فراشه.

قال الزّائر مبتسماً:

- صباح الخير..

لاحظ أنّ الزّائر أصلع الرأس في منتصف العمر ذو ابتسامة جذابة!

قال بضعف:

- صباح الخير إنّك ترتدي قرطاً جميلاً..

رد الزّائر برقّة:

- شكراً.. إنّها هوائيّات استقبال!

أجاب المريض بدهشة:

- حقّاً!؟

حدّق الزّائر في وجهه:

- لأجهزة الرّاديو الترانزستور المثبّتة داخل أذني.

ازدادت الدّهشة على وجه المريض:

- شيءٌ رائع!

أضاف الزّائر بصوت مجسم:

- مدهش! ولكن كيف تغلق الرّاديو؟

تريّث الزّائر لعدّة ثوانٍ ثم قال مقطباً متحيّراً:

- إنّه لا يغلق أبداً! أرجو أن ترفع صوتك قليلاً

حاول المريض أن يجلس في الفراش:

- آسف.. لم أكن أعرف..

ساد صمتٌ لعدّة لحظات..

ثمّ قال الزّائر بودّ:

- أصبح الطّقس عندنا رائعاً طوال السنة.

- حقّاً لم ألاحظ ذلك! وبهذه المناسبة، هل تمّ التّحكم في التّقلبات الجّوّيّة؟

نظر الزّائر إلى النّافذة الكبيرة ثمّ قال ببطء:

- لقد حاولوا عدّة مرّات ونجحوا أخيراً.

- لابدّ أنّ هناك رغبات متعارضة جو حار، بارد،معتدل.

ابتسم الزّائر:

- هذا ما حدث تماماً!

فجأة سمع المريض صوت تحطّم زجاج النّافذة المسدل عليها ستار أسود سميك.

تساءل المريض في همس:

– مظاهرات معادية؟

رد الزّائر بسرعة:

– كلا .. بل مواصلات أسرع من الصّوت!

استُبدل الزّجاج في دقائق آليّاً.

ابتسم المريض:

– لاشكّ أنّ لديكم الكثير من ألواح الزجاج.

– بل بلورات الكوارتز النقيّة!

نظر المريض إلى الضّوء الشّاحب الذي يأتي من مكانٍ مجهول ثم قال وهو يحدّق في وجه الزّائر:

– من أين يأتي الضّوء؟

– ليس ضوءاً بل مصدر لأشعة الليزر المتولّدة من ثاني أكسيد الكربون النّاتج من تنفّس البشر!

عاد المريض يتساءل في فضول:

– والعلاقات الاجتماعيّة، والعواطف البشريّة، كالحب..

تمهل الزّائر قليلاً ثم قال بتؤدة:

– كلّ شيء يتم بالكمبيوتر الضّوئي ذي الرّقاقات البيولوجيّة.

سادت فترة صمت فرض نفسه، ثم قال المريض وهو يعتدل في جلسته على الفراش:

– أيّ عام هذا؟

رد الزّائر ببطء:

– عام ٢٠٩٢ ميلادية!

بدا الذّهول على وجه المريض:

– لقد مر قرن كامل منذ التّجميد المؤقّت!!

ردّ الزّائر ببطء:

– السّنوات تتشابه وتمر بسرعة!

تريّث المريض قليلاً، ثم قال بتردد:

– وماذا عن النّقود؟ هل كان رصيدي في البنك كافياً لتغطية كلّ المصاريف؟

قال الزائر بصوتٍ مفعم بالأسى:

– للأسف لا، فقد كان عليّ أن أدفع تكاليف إيقاظك من حالة التّجميد المؤقّت!

رد المريض بامتنان:

– هذا كرمٌ منك.

– ثم لاحظ أن ضوء الشمس بدأ يظهر على الحافّة العليا للسّتار السّميك.

حاول أن ينزل من الفراش.

ولكنه أحس بضعف شديد وكاد أن يفقد الوعي،

تراجع بسرعة ورقد على الفراش وأغمض عينيه.

أخذ يتنفّس بصعوبة وارتعدت يداه وشعر بدوارٍ شديد في رأسه.

نهض الزّائر وقال برقّة بالغة:

– أرجوك! لاتحاول الحركة! يجب أن تستريح حتى تتم عمليّة استبدال القلب!

تساءل المريض في قلق:

- لماذا! هل أعاني مرضاً بالقلب؟

جلس الزّائر في بطء فوق المقعد الوثير.

ابتسم.. ثم قال بصوتٍ خافت:

- كلا.. إنّ قلبي أنا المريض ولا أمل في علاجه، وأحتاج إلى قلبك السليم!!

وصرخ المريض في رعبٍ بالغ!!

❖❖❖

اليقظة المرعبة

تردد صدى الرّنين المعدني عبر العديد من الممرات وغرف محطة الفضاء، ووقف رائد الفضاء (مجدي صادق) يُنصت لدقائق حتى تلاشى صدى الصّوت.

كان ذلك علامة على انطلاق سفينة الفضاء عائدة إلى الوطن، كوكب الأرض، وأنّه أصبح وحيداً في محطّة الفضاء (اللقاء) التي كانت تدور في مدارها وتلف حول محورها بسرعة ثابتة.

-١-

محطّة الفضاء (اللقاء)، شحذ هذا الاسم خياله!

كان (مجدي) يعرف أن كلاً من المحطّتين الفضائيتين المداريتين قد سمّيتا منذ قرن مضى، بمعرفة الوكالة الدّولية لخدمة الأقمار الصّناعيّة (الوطن) و(اللقاء).

اختصّت (الوطن) بحركة كوكب الأرض و المدن الفضائيّة فوق الكواكب الأخرى (المريخ) و(الزهرة) و(أورانوس).

أمّا (اللقاء)، فصممت خصيصاً للتّعامل مع الكائنات الأخرى القادمة من خارج المنظومة الشّمسيّة.

وحتّى هذا الاسم الخيالي الشاعري لم يقلل من غرابة محطّة الفضاء التي تدور بمفردها في الظّلام على بعد آلاف الكيلومترات من كوكب الأرض في انتظار زائرها الذي يأتي كل عقدين من الزمان.

رجلٌ واحد من بلايين سكان إمبراطورية الفضاء داخل المجموعة الشّمسيّة، كان مكلّفاً تحمّل مسؤوليّة وجود الكائن الغريب عندما يأتي!

أدرك (مجدي صادق) أنّ الجنسين يختلفان كثيراً عن بعضهما لدرجة جعلت من المؤلم لكليهما أن يتقابلا!

لقد تطوّع للقيام بهذا العمل وكان متأكّداً أنّ بوسعه التّعامل معه وتحمّل مسؤوليته بعد أن اجتاز جميع الاختبارات النّفسيّة والبدنيّة ثم أحضره طاقم الصّيانة كحمل ثابت.

أمّا الآن فإنّهم ذهبوا وتركوه هنا بمفرده ولكن ليس تماماً!

سمع صوتاً جميلاً بنبرات أنثويّة واضحة:

– مرحباً بك يا رائد الفضاء (مجدي صادق) هذه شبكة (ألفا) بمحطّة الفضاء. إنني هنا لحمايتك وخدمتك بكلّ الطّرق فإذا أردت أي شيء، فما عليك إلا أن تسألني.

كان (مجدي) يعلم بوجود كمبيوتر متكلّم بمحطّة الفضاء (اللقاء) ولكنه اندهش من النّبرة البشريّة في الصّوت الأنثوي الآلي!

تميّزت شبكات (ألفا) بأنّها تتضمّن أحدث ما وصلت إليه تكنولوجيا القرن الثاني والعشرين.

وحدات منطق بالعقول الصناعيّة للروبوتات، كمبيوترات ضوئيّة تعمل بالرّقائق البيولوجيّة، وسائل أمن باستخدام أشعّة الليزر، صور مجسّمة بالهولوجرافيا.

وكل ذلك مغلّف بشيء قريب من شخصيّة الإنسان وإرادته الحرّة.

وكانت شبكة (ألفا) فوق محطّة الفضاء (اللقاء) تمتد شاشاتها المجسّمة إلى كلّ ركنٍ فيها.

❖❖❖

تلفت (مجدي) حوله كأنه يبحث عن الفتاة التي تتحدث!

قال بتردد (فهو لم يعتد التّحدث إلى آلة):

– شكراً.. ولكن بأي اسم أناديك؟ فمن غير المعقول أن أقول لك في كل مرة مرحباً أيّتها الشّبكة (ألفا)!

تريثت قليلاً، ثم قالت كما لو كانت تبتسم في مرح:

- سوف أترك لك اختيار الاسم.

- فكّر قليلاً.. ثم قال وهو يحدّق في الكمبيوتر البيضاوي الضّخم:

- كنت أحب فتاة منذ عدة سنوات اسمها (لمياء) هل يعجبك هذا الاسم؟!

- قال الصّوت الأنثوي الآلي بسرعة:

- هذا شرفٌ لي! انصرف بعيداً.

وبدا أن هذا يُنهي المحادثة مع شبكة (ألفا) (لمياء) كان الأمر لابأس به وجود رفيق يمكن أن يحدثك إذا حدثته لكن، ماالذي يحدث إذا أصبح هذا الرفيق ثرثاراً لايتوقف عن الكلام؟!

كان الجزء البشري من محطّة الفضاء مكوّناً من حجرة نوم و حجرة معيشة وحجرة طعام وحمّام. كانت حجرة المعيشة متّسعة مريحة ومؤثثة جيداً بمقاعد جلديّة وثيرة ذات ألوان خضراء وزرقاء.

والسّمة الميكانيكيّة الوحيدة فيها كانت الخزانة الكبيرة للأجهزة الموجودة في الرّكن الأيمن للحجرة، أما الحجرات الأخرى فكانت منتشرة حولها في دائرة بينها ممرات ضيّقة و أجهزة ومعدات توليد الأوكسجين ومصادر للطّاقة، كان المكان كلّه نظيفاً جدّاً ويؤدّي وظيفته بكفاءة عالية، على الرغم من توقّفه طوال عشرين عاماً!

وفي الشهر الذي سبق قدوم الكائن الغريب، توافر لرائد الفضاء (مجدي) الطّعام الجيّد والرّاحة والحديث المتواصل مع شبكة (ألفا) (لمياء).

فكان إذا شعر بالجّوع يقول لها:

- (لمياء) أريد أن أتناول الآن شريحة لحم صغيرة تامّة النّضج.

فتردّ عليه بصوت مفعم بالود:

- فوراً يا (مجدي).

وفي حجرة الطّعام، يبدأ الطّبخ الآلي في الطّنين و الأزيز ليعد الوجبة السّاخنة.

❖❖❖

سار (مجدي) قليلاً في أرجاء محطّة الفضاء وشاهد العدادات وعلى شاشاتها تظهر عبارة:

- العزل الهوائي محكم تماماً، والأوكسجين يتدفق بانتظام أما الجانب الآخر من محطّة الفضاء فكانت جميع عداداته متوقّفة عن العمل، فهو مخصص للكائن الغريب القادم من خارج المجموعة الشّمسيّة.

كان لدى (مجدي) صورة ذهنيّة حيّة عن محطّة الفضاء (اللقاء) تكوّنت عنده من اطلاعه على الصّور والرّسومات والأفلام الخاصة بها .

كانت عبارة عن كرة هائلة من الألمنيوم، وألياف الكربون، والبلاستيك المقوّى قطرها نصف كيلومتر، فضّيّة اللون، ومثبّت فوقها القسم البشري، وهو عبارة عن قرص دائري منخفض وكان كل تجويف الكرة يتضمّن حجرات الإقامة والإمداد والصّيانة والأجهزة المتطوّرة ومعدّات القياس والكمبيوتر الضّوئي.

ذات يوم قال (مجدي) لشبكة (ألفا):

– (لمياء) لاشكّ أنك تحتفظين بذاكرتك الإلكترونيّةبالكثير من المعلومات!

أجابت بسرعة:

– بالتّأكيد ما الذي تريد معرفته؟

استرخى في المقعد الوثير غارقاً في أفكاره الذّاتيّة ثم ضاقت عيناه، وهو يقول:

– أولاً اقرئي لي تقرير رائد الفضاء (فايز مصطفى) حتّى أتأكد أنني أتذكره جيّداً!

تمهّلت وهي تتحدث مستخدمة ذكاءها الصّناعي:

- الفصل الثاني الاتّصال بكائنات عاقلة من خارج المنظومة الشّمسيّة تمّ ذلك على يد رائد الفضاء (فايز مصطفى) في ٢٠٩١/١٠/١٠ في أثناء هبوط طارئ على سطح القمر (تيتان) وفيما يلي نص التّقرير:

(في أثناء البحث عن سببٍ معقول لاضطراب عقولنا، اكتشفنا ما يبدو أنّه تكوين معدني هائل في الجانب البعيد من سلسلة التّلال الأرجوانية وزادت آلامنا عند اقترابنا منه، أبدى بعض أفراد الطاقم رغبتهم في الانسحاب،ولكني والمهندس (نبيل خالد) قررنا المضي قدماً والاستمرار في الاتّصال اللاسلكي مع بقية أفراد الطّاقم في أثناء عودتهم إلى سفينة الفضاء، اقتربنا بحذر حتى وصلنا إلى الجّسم المعدني من خلال فتحة متّسعة غير منتظمة).

كانت الحرارة في الداخل إحدى وعشرين درجة تحت الصفر، واتّضح لنا أنّ الهواء في الدّاخل يتكوّن من غازي الميتان والأمونيا

وفي إحدى الحجرات كان ينتظرنا كائنٌ غريب، أحسست بالخطر الذي حاولت وصفه من قبل، ثم شعرنا أننا مدعوان لمناقشة ما، ولاحظنا أن المخلوق الغريب يفرز سائلاً ذهبياً! من فتحات عديدة في جسمه وبرغم نفوري مما شاهدته فقد تمكنت بصعوبة من جمع عيّنة من هذه الإفرازات، ثم قدمتها للتّحليل المعملي فيما بعد وكانت النّتائج مذهلة!

-٢-

ظهرت على وجه (مجدي) سمات عدم الارتياح، وقال:

- إنني أتذكّر شيئاً ما، من دورة تدريبية تلقيتها في أكاديمية الفضاء عن الكائنات الغريبة مجرد جملة: (أعمى مثل الخفاش، ويغطّي الفراء الأبيض جسمه) هل هذا هو وصف ذلك الكائن؟ لاشكّ أنّك تملكين كاميرات هناك في الجّانب الآخر من محطّة الفضاء حيث سيهبط الكائن.

صمتت شبكة (ألفا) لعدّة دقائق.

ثم أردف (مجدي) قائلاً بسخرية:

- سوف أوفر عليك المشقة أعلم أنك سوف تقولين إنك آسفة ولاتستطيعين ذلك.

- قالت المخلوقة الآلية بصدق:

- إنني آسفة..

وبرغم هذا فقد كانت (لمياء) رفيقة مثالية في هذه الوحدة التي يعانيها، فلديها مكتبة ضخمة من شرائط الفيديو، وكتب مرئيّة يمكن قراءتها على شاشات التّلفزيون وإذا أراد يمكن أن تقرأها له.

كانت أيضاً مسيطرة بكفاءة على التلسكوبات الثلاثة لمحطّة الفضاء.. ويمكنها أن تريه — بناءً على طلبه — أجراماً فضائيّة..على بعد آلاف السّنوات الضوئيّة.

❖❖❖

نهض (مجدي) من فراشه وسار بلا هدف جيئةً وذهاباً ثم قال لشبكة (ألفا).. بمللٍ ظاهر:

– أريدُ أن ألقي نظرة على كوكب الأرض.

في الحال، نبضت شاشة المشاهدة بالحياة، ظهر عليها منظر الكرة الأرضيّة، في ضعف حجم القمر، وهي تسبح في الفضاء بسرعة ثلاثين كيلومتراً في الثّانية الواحدة.

قال (مجدي) بحدة:

– كفى!

سأله الصوت الأنثوي الآلي:

– أتريد سماع قطعة موسيقيّة؟

وسرعان مابدأ عزف سوناتا الكمان لشوبان، موسيقى حالمة لتهدئة الأعصاب.

قال (مجدي) بعصبيّة:

- لا أريد موسيقى!

كانت يدا (مجدي) ترتعدان، فقد انتابه إحساس باليأس الذي يشعر به كل من يسجن في قفص!

كان رداء الفضاء داخل خزانة الملابس بجوار الحاجز الهوائي وقد ارتداه (مجدي) مرتين للخروج إلى ظهر محطّة الفضاء.

لم يكن هناك أي شيء يمكن أن يراه، مجرد الظّلام الدامس والبرودة القارصة والصمت.

ولكن كان عليه أن يهرب من هذا القفص المعدني الذي وجد نفسه داخله!

❖❖❖

أخرج رائد الفضاء من خزانة الملابس

قالت (لمياء):

- (مجدي) هل تشعر بالقلق؟

قال في تحدٍّ:

- أجل..

- ردّت عليه بسرعة:

- إذن لاتذهب إلى القطاع الثاني، مأوى الكائنات الغريبة، قال بقمّة انفعاله وهو يشير بيده في اتّجاه جهاز الكمبيوتر:

- لاتخبريني بما يجب عليّ عمله، فأنت لست أكثر من كومة من الحديد الصدئ!

صمتت (لمياء)..

كان الحاجز الهوائي عبارة عن ماسورة رأسيّة ضخمة، لاتكاد تتسع لشخص واحد وهو الممر الوحيد بين القطاع الأول البشري والقطاع الثاني للكائنات الغريبة كما كان المخرج الوحيد من القطاع الأول.

وفي نطاق أشعة بطارية الليثيوم الموجودة في الخوذة الشفافة التي يرتديها (مجدي) بدأ التّجويف المركزي الهائل لمحطّة الفضاء كهوّة زرقاء تعكس أشعة الضّوء بشكل خادع لايبين عمقها الحقيقي، وكانت الجّدران القريبة متلألئة بالصّقيع الذي يتراكم عليها، لم يكن القطاع الثاني قد زود بالضّغط بعد وإنّما كان هناك بعض البخار المتشتت والمتسرّب من الحاجز الهوائي وقد تجمّد منذ فترة طويلة داخل المادّة المطاطيّة التي تبطّن الجّدران الصّلبة.

رن المعدن البارد تحت قدميه، وكان الخواء في الحجرة الخالية من الهواء والدفء والإضاءة الخافتة هو ما يحطّم أعصابه.

وبدت خطوات قدميه المتثاقلة تعبّر عن الوحدة القاتلة!

كان (مجدي) قد سار مسافة ثلاثين متراً في الممر الضيّق. عندما اشتد قلقه، فجأة، توقف بالرّغم منه واستدار بشكلٍ غير سليم ثم أسند برأسه إلى الخلف إلى الجّدار القريب.

لم يكن الارتكاز على الحائط الصّلب كافياً بدا له أنّ الممر الضيق سوف يميل تحت قدميه مما يهدده في أيّ لحظة بالسّقوط في الهوة!

❖❖❖

أدرك مجدي هذا الشعور الغريب، و أحس بتصلب أطرافه، كان هذا هو الخوف.

برقت فكرة مفاجئة في ذهنه:

- إنهم يريدون مني أن أخاف! ولكن لماذا؟ وممن؟

ثم ازدادت شدّة الضّغط المجهول كقبضة هائلة تحيط به.

وشعر (مجدي) بإحساسٍ مروع بوجود كائن هائل ليس له حدود يهبط ببطء رهيب، لانهائيٍ، كان الشّهر الأول قد مر وهاهو الكائن الغريب قادم إلى محطّة الفضاء!

عندما استدار (مجدي) وهو يشهق في فزع، بدا أنّ كل محطّة الفضاء من حوله قد تضاءلت إلى حجم حجرة صغيرة عادية وهو مسجون داخلها، كان مثل حشرة ضئيلة تهرع بجنون على الجدران بحثاً عن الأمان!

أخذ يركض في سرعة بالغة وحوله كانت محطّة الفضاء تطن وتهدر.

وفي الحجرات السّاكنة، كانت جميع الأضواء خافتة ترتعش، قبع (مجدي) في هدوء وهو ينظر بخوف إلى السّقف.

وهناك صوّر له خياله أشكالاً رهيبة مرعبة للكائن الغريب الضّخم الغامض المخيف.

❖❖❖

لفّ (مجدي) في الأريكة الوثيرة التي كان مضطجعاً عليها، وقال في هلع:

يا إلهي.. هل سوف يستمر الأمر على هذا لمدة خمسة شهور أخرى؟! إنّ الكائن الغريب كريه وبارد ولزج كلا يا (لمياء)، لن أستطيع التّحمل لن أستطيع!

حدث دوي هادر آخر

تردد صداه في كل أرجاء محطّة الفضاء (اللقاء)..

صرخ (مجدي) وهو ينهض من على الأريكة:

- ماهذا؟! هل سفينة الكائنات الغريبة تبتعد؟!

تريثت (لمياء) لعدة ثوان ثم قالت في بطء:

- أجل يا (مجدي) لقد أصبح الكائن الغريب وحيداً تماماً مثلك!

- رد (مجدي) بغضب وخشونة:

- ليس مثلي لايمكن أن أشعر بما أعانيه الآن يا (لمياء).

إنك لاتعرفين المشاعر الآدميّة!

قالت الشّبكة (ألفا) في ثقة:

- بل لقد أدركت في ذاكرتي الإلكترونيّة وبالذّات في وحدة المنطق! ألا تعلم أنني أعمل بالرّقاقات البيولوجيّة التي تستخدم السّيليكون و البروتين!؟

وهناك في الجانب الآخر من الجدار المعدني الفضي الذي يبلغ سمكه عدّة أمتار جثم المخلوق الهائل البشع الكريه.

أحسّ (مجدي) بثقلٍ غريب فوق صدره شكل ضخم ليس له ملامح محددة أو لون أو حجم يسقط باستمرار ناحية وجهه وبدا أن نُذُر الخطر معلقة في الخفاء!

وتذكّر فجأة أنّه وجد ذات يوم عندما كان في العاشرة من عمره، دمية محطّمة أخرجها من بركة بالقرب من منزله بالمعادي كان فراؤها رطباً ورأسها منتفخاً مترهّلاً وكانت عيناها جاحظتين وكان جسمها بارداً!.

❖❖❖

تقلّب (مجدي) بمجهود على الأريكة التي عاد للاضطجاع عليها، ثم رفع نفسه على أحد مرفقيه.

وكان الضّغط عبارة عن وزن بارد متواصل على جمجمته، أحسّ بالحجرة تميل وتدور حوله في حلقات بطيئة ثم أخذت تسرع رويداً.

شعر (مجدي) بعضلات فكّيه تتلوّى من الانفعال ثم أحس بتقلص مفاجئ في أسفل رقبته.

نهض بسرعة ووقف منتصباً في ضعف، توتّر كل عموده الفقري وفتح فمه بشكل مؤلم.

خطا خطوة واحدة أعقبها بأخرى، واختار توقيتهما بحيث يصطدمان بالأرضيّة المعدنيّة عندما تتخذ الوضع الأفقي.

أُضيء الجانب الأيمن من خزانة الأجهزة الذي كان مظلماً من قبل، وبلغ الضّغط الجوي في القطاع الثاني حيث يوجد الكائن الغريب مايقرب من أربعة أمثال الضّغط الجوي في القطاع الأول.

وفقاً لمقياس دقيق، وبيّن عدّاد الحاجز الهوائي زيادة نسبة غاز الأوكسجين و الأرجون، كان ذلك متعمداً للحيلولة دون تلويث جو الكائن الغريب للقطاع الأول..

وهكذا لن يفتح الحاجز الهوائي من أي جانب.

أضاءت الشّاشة الكبيرة للكمبيوتر فحدّق فيها، قال (مجدي) لنفسه:

- آه إنّ الطريقَ طويلٌ جداً إلى كوكب الأرض.

كان يعرف أنّ مدينته الآن في فصل الربيع، وأنّ الوقت صباح ندي رقيق مثل ضوء البحر المحبوس في العقيق، صباح يتّسم بالهدوء والسلام والخير والحب

أمّا في الفضاء، فكانت هناك هوّة حقيقية، حيث تنتشر النجوم والمجرات إلى مسافات شاسعة لايمكن التّعبير عنها إلا بعدد لا نهائي يثير الرعب!

وعند كوكب (بلوتو) آخر كواكب المنظومة الشّمسيّة، على بعد خمسة آلاف وتسعمئة مليون كيلومتر من الشّمس كانت الحدود الخارجية لإمبراطورية الفضاء.

هنا يتشكّل المحيط الكوني الهائل ويقترب العالمان من بعضهما حتى يتماسّا.

العالم الإنساني وعالم الكائنات الغريبة!

❖❖❖

في قاع لوحة الأجهزة الإلكترونيّة، كانت العدادات الذهبية مضاءةً بخفوت ومؤشّراتها ترتعد قليلاً على محاورها البيضاء النّاصعة، وفوق جدران الأوعية الكبيرة كان السائل الذهبي الذي يفرزه الكائن الغريب يتقاطر مكوّناً بركاً صغيرة داخل الأوعية.

وتذكّر (مجدي) تقرير رائد الفضاء (فايز مصطفى):

وبرغم نفوري مما أرى، فقد أخذت عيّنة من هذه الإفرازات ثم قدمتها للتحليل المعملي فيما بعد، وكانت النتائج مذهلة!

– كان السّائل في مثل برودة الفضاء ويلمع كالذّهب وهو نصف حي إكسير الشباب! قطرة واحدة من هذا السّائل المركز تمنع الشيخوخة لمدة عشرين عاماً.. وتحتفظ بالشّرايين غضّة، وبالتّوترات العضليّة سليمة، وبالعينين قويتي الإبصار، وبالعقل واعياً طوال العمر الذي قد يمتد إلى مائة وخمسين عاماً!

-٤-

ومرة كل عشرين عاماً، يهبط إلى محطة الفضاء (اللقاء)، أحد الكائنات الغريبة من مكان مجهول ويقيم في المكان الذي أعد له بمحطة الفضاء في القطاع الثاني

ويجعل البشر أغنياء بالحياة والصّحة أكثر مما يحلمون لأسباب غير معروفة!

❖❖❖

تخيّل (مجدي) ذلك الجسم الضّخم للكائن في السّواد الصّقيعي للقطاع الثاني الذي يدور بأكمله مع دوران محطّة الفضاء، وينزف قطرات ذهبيّة باردة إلى داخل الأوعية قطرة قطرة.

أمسك (مجدي) برأسه فقد جعله الضّغط المرتفع داخلها في حالة يصعب عليه فيها التفكير.

شعر كما لو أن جمجمته سوف تنفصل عن جسده وتنطلق بعيداً!

قال بضعف بالغ:

- (المياء)!

ردّ عليه الصّوت الأنثوي بعطف ورقّة:

- ماذا تريد يا (مجدي)؟

بدت له (لمياء) كممرّضة تقف بجوار سرير مريض على وشك إجراء عمليّة جراحيّة أو علاج سوف يسبب له آلاماً.

قال (مجدي) وهو يسترخي في جلسته وهو مقطب الجبين:

- هل تعرفين لماذا تأتي الكائنات الغريبة دائماً؟

أجاب الصوت الآلي بوضوح:

- إنّ ذلك لغز غامض!

هزّ (مجدي) رأسه موافقاً قال وهو يشرد بعيداً:

- لقد أتى الدّكتور (حسن سمير) لمقابلتي قبل أن أترك كوكب الأرض.

- هل تعرفين الدّكتور (حسني)؟ إنه رئيس لجنة اتّصالات الفضاء بالمجلس الأعلى لعلماء الأرض حضر خصيصاً لمقابلتي!

قالت (لمياء) دون اكتراث:

- حقّاً!

استطرد في همس وكأنه لم يسمعها:

– قال لي عليك أن تتأكد يا (مجدي) عمّا إذا كان يمكننا الاعتماد على هذه الكائنات في مواصلة تزويدنا بهذا السّائل الذّهبي إكسير الشّباب، أتدري أنّ هناك ما يقرب من البليون نسمة زيادة في عدد سكان كوكب الأرض؟! إننا نريد المزيد من هذا السائل ويجب أن تتأكد من إمكان الاعتماد على هذه الكائنات لأنك تعرف ما الذي سوف يحدث لو توقفت.

صمت (مجدي) لبرهة، ثم أضاف وهو ينظر إلى الكمبيوتر الضّخم:

– هل تعرفين يا (لمياء)؟

أجاب الصوت الأنثوي في تردد:

– لعلّ كارثة سوف تحدث حينئذ!

– تريّث (مجدي) لعدّة ثوانٍ ثم ردّ مؤكّداً:

– إنّ الدّكتور (حسني) يقول بأنه إذا توقف ورود السّائل الذّهبي لإطالة العمر، فإنّ معدلات الوفيات سوف تتزايد بنسبة هائلة وسيثور الناس في كل إمبراطورية الفضاء!

بدا الانفعال على وجه (مجدي) وهو يستطرد:

– إنني الآن في الرابعة والثلاثين ولكن الدّكتور (حسني) جعلني أشعر كأنني طفل إذ سوف أعيش إلى أن أبلغ المائة والخمسين عاماً بفضل السّائل الذّهبي إكسير الشباب!

- أصدرت (لمياء) صوتاً آليّاً متعاطفاً معه.

- صرخ (مجدي) بهستيرية:

- قطرة قطرة

كانت مؤشرات العدادات الذهبيّة الطويلة أعلى بقدرٍ طفيف جداً أردف قائلاً:

- كل عشرين عاماً نحتاج لمزيد من السّائل الذّهبي ولذلك يتعين حضور شخص مثلي لمدّة خمسة شهور كاملة حيث يقوم الكائن بالجلوس في القطاع الثاني، ويقطر جسده. فلماذا يا (لمياء)؟ ما السبب؟ لماذا تهتم هذه الكائنات بما إذا كنا سوف نعيش لفترة أطول أم لا؟ لماذا يواصلون الحضور إلى محطّة الفضاء مراراً وتكراراً؟ وما الذي يأخذونه معهم من هنا؟

لكن شبكة (ألفا) لم تستطع الإجابة عن هذه الأسئلة!

طوال اليوم كانت الأضواء تشتعل باردة وثابتة في الممر الرّمادي الدّائري حول حافة القطاع الأول والأرضيّة الزّرقاء الصلبة التي بليت بشدة حتى قبل أن تطأها قدما (مجدي صادق).

فقد كان يروح ويجيء آلاف المرات في اليوم الواحد مثل طاحونة دوّارة، فالإنسان يمكن أن يفقد عقله إذا جلس ساكناً دون حراك. وداخل رأسه ضغط هائل لا يهدأ ولا يمكن وصفه إذ إنه تجربة إنسانيّة منفردة!

لذلك كان (مجدي) يسير مسافة عشرات الكيلومترات طوال فترة النهار في كل يوم حتى يتهالك فوق فراشه في المساء.

❖❖❖

ترنّح (مجدي) وهو يدخل إلى حجرة المعيشة،جلس بجوار خزانة الأجهزة وضرب بقبضته على معدنها النّاعم البارد، حدّق في الشّاشة الكبيرة للكمبيوتر البيضاوي وقال في اهتمام:

– من أنت يا (لمياء)؟ مخلوقة آليّة شريرة أم طيّبة؟ ألا يجري في شرايينك أي دماء أو في أنابيبك أي زيوت؟

قالت بنبرة تتضح فيها الدهشة:

– أرجوك يا (مجدي)!

ردّ بحدّة بالغة:

– كل ما أريد معرفته هو هل يمكن لهذه الكائنات التّحدث؟ هل يمكنها أن تخبرني بأي معلومات بعد انتهاء نوبة عملها؟!

– كلا يا (مجدي).

تريّث قليلاً.. وبدأت يداه ترتعد..

ثم قال بتؤدة محاولاً أن يتحكّم في أعصابه:

- (لمياء) إنك تلتقطين صوراً للكائن أليس كذلك؟

ردّت بصدق:

- أجل.

قال بسرعة:

- إذن يمكنك أن تقولي لي ماالذي تشاهدينه هناك!

لم ترد عليه.

اح وهو يحيط رأسه بيديه:

- يا إلهي! إنك لاتفهمين فأنتِ آلة صمّاء!

نهض بغتة وأمسك بقوّة بخزانة الأجهزة.حدّق في الشّاشة الخالية،ضرب المعدن بقوّة بقبضته ثم صرخ، قائلاً:

- يجب أن تريني يا (لمياء) هيّا هيّا

اعترضت (لمياء):

- إنّ ذلك غير مسموح به.

صرخ بقمّة انفعاله وكل جسمه يرتعد:

– بل إنّك مضطرة لأن تفعلي ذلك! وإلا فإننا سوف نموت ملايين منا، بل بلايين وستكون تلك غلطتك أنت! هل تفهمين غلطتك يا (لمياء)!!

قال الصوت الأنثوي بضعف:

– أرجوك!

ثم توقفت لفترة

نبضت الشّاشة الكبيرة بالحياة للحظات فقط، ولمح (مجدي) كائناً ضخماً قائماً ولكنه نصف شفّاف! مثل حشرة هائلة ذات فراء أبيض كتلة متشابكة من الأعضاء القبيحة التي يصعب وصفها كما لو كانت ذات خيوط ومخالب و أجنحة!

أمسك (مجدي) بقوّة بحافة الخزانة الحديدية..

سأله الصوت الآلي الساخر:

– هل أعجبك هذا؟

– قال بضعفٍ بالغ:

– بالطبع!! إنّ بدني يقشعر وأكاد أصاب بنوبة غثيان، ولكنني أريد أن أراه مرة أخرى أرجوك يا (لمياء)!

وبعد تردد استمر لعدّة ثوان أضاءت الشّاشة مرّة ثانية.

نظر إليها (مجدي) وظل محملقاً فيها وهو يرى الكائن الغريب البشع يحدّق بشكل أعمى في الفضاء.

غمغم (مجدي) بعدّة كلمات دون وعي..

قالت الشّبكة (ألفا):

- ماذا قلت؟

قال (مجدي) وهو مايزال يحدّق في الشاشة:

- آه لو تعلم يا حبيبي!!

تعجّب من أنه تلفّظ بهذه الكلمات.لقد تشكّلت فجأة في ذهنه من مصدرٍ مجهول!

نهض بعد عدّة دقائق واستدار مبتعداً، ومازالت صورة الكائن الغريب في مخيّلته وهو يرتد راجعاً إلى الممر كيف ذكر كلمة (الحب)؟!

والكائن يذكّره بجميع الحيوانات الزاحفة الكريهة التي تعج بها الحياة على كوكب الأرض!

إذن هذا هو السبب الذي من أجله.. كان من المفروض ألا يرى الكائن الغريب! ويعرف ما هو شكله، لأن ذلك يغذّي كراهيته له.

ولكن لماذا يجب أن يكره الكائن الغريب؟!

لم يستطع أن يجيب عن هذا السؤال الغامض.

-٥-

في الجانب المظلم من محطّة الفضاء (اللقاء)، تحرّكت المؤشّرات الذهبيّة لأعلى كانت الأوعية الضّخمة قد امتلأت لأكثر من ثلثيها بالسّائل الذّهبي.

تهالك (مجدي) ببطء على مقعد أمام خزانة الأجهزة. جلس منحنياً مرهقاً ويداه معصورتان بين ركبتيه.

حاول أن يتماسك في مواجهة الفكرة التي خطرت له؛

إذا شعر الكائن الغريب بنفس الألم الممض الذي يحس به (مجدي) فقد تغيّرت الانفعالات والضّغط من التّفاعلات الكيميائيّة والبيولوجيّة داخل جسم الكائن الغريب

- آه لو تعلم يا حبيبي!!

عادت الكلمة الغريبة تشتعل في ذهنه..

طرد (مجدي) هذه الفكرة العجيبة، وحدّق في الشاشة محاولاً تصوّر الكائن الغريب وهو يجفل في ألم وخوف من جسده السّائل الذّهبي إكسير الشباب!

الحب:

وهو يشعر بكل هذه الكراهية والغثيان لمجرد رؤية المنظر البشع للكائن الغريب!

❖❖❖

شعر (مجدي) بالجّوع فجأة ذهب إلى حجرة الطعام، قبض على حافة المنضدة البيضاوية ليساعد ساقيه على استمرار حمل جسده المرهق ثم لم يلبث أن تهالك فوق أحد المقاعد.

لم تُعطه الانعكاسات المطموسة من الزّخارف المعدنية في حجرة الطعام، أي إجابات عن تساؤلاته إنها مجرد لطخ رمادية شاحبة مجهولة..

أحسّ (مجدي) بدوار في رأسه وضعف في جسمه كما لو كان قد أفاق لتوّه من نوبة حمى..

تحسس ضلوعه وعظام كتفيه، لقد فقد الكثير من وزنه وأصبح نحيفاً ضعيفاً.

جلس أمام الطبّاخ الآلي لبضعة دقائق،ولكنه لم يخرج من الفتحة أي طعام!

كان واضحاً أن شبكة (ألفا) تعتقد أنه ليس مستعداً لتناول أي شيء نظراً لحالته النفسيّة السّيئة!

أدرك (مجدي) أنّها على حق فقد استطاعت دراسة وقياس توتّراته النّفسيّة بواسطة أجهزة دقيقة للاستشعار عن بعد.

خطرت له فكرة سريعة خاطفة؛ لعلّ ما يحدث للكائن الغريب أشدّ قسوة؛ فمحطّة الفضاء في مكان بعيد عن موطنه..

وفي صمت أجهزة الاتّصال ووجود إنسان واحد على متن محطة الفضاء (اللقاء)، ربما كان لايستطيع أن يتحمل كل هذا على الإطلاق وإلا..

فجأة لم يعد يفكر في أي شيء سوى النوم، الهاوية التي ليس لها قرار، طبقة وراء أخرى من الضباب الناعم الذي يفقد الحس..

ارتعدت وتوترت عضلات ساقيه عندما حاول السّير، ولكنّه تمكّن من الوصول إلى حجرة النوم حيث تهالك على الفراش الذي بدا وكأنه ينصهر من تحته، ثم لم يعد يشعر بشيء..

❖❖❖

استيقظ (مجدي) ورأسه صافية، وجسده ضعيف، وتفكيره بطيء لكن سليم..

جاءته فكرة مفاجئة..

عندما تتقابل حضارتان غريبتان، فإن الأقوى منهما يجب أن تغيّر الأضعف بالحب أو الكراهية!

حدّث نفسه بصوتٍ مرتفع:

– قانون (مجدي صادق)!

بحث حوله عن قلم رصاص وورقة ولكنّه لم يجد شيئاً، وأدرك أنّ عليه أن يخبر (لمياء) بتوفير مثل هذه الأدوات الكتابيّة، وجعله هذا يفكر في شبكة (ألفا) (لمياء) التي تكاد أن تصبح آدمية!

ولكنها قابعة هناك في سجنها المعدني البرّاق تقود رائد فضاء تلو الآخر خلال عذابات الجّحيم! وتؤدّي دور المربّية والحارس والقائم بالتّعذيب!

حدّث (مجدي) نفسه مرةً أخرى..

– أنا الأقوى! وهذا ماسوف تسير عليه الأمور!

ثم صاح بغضب:

– (لمياء)!

ودون تردد، بدأت الشّاشة الكبيرة المثبتة أمامه تنبض بالحياة، وظهر عليها الكائن الغريب متهالكاً فوق الأرضيّة، وكانت عيناه العنقوديّتان تسألان.. تستعطفان.. وتحدّقان مباشرة في الكاميرا والأعضاء الملتفة تنتفض من الألم.

قال (مجدي) وهو يشعر بمعاناته الذّاتية:

- كفى! لا أستطيع أن أنظر إليه!

وضرب بيده على ذراع التّشغيل الآلي اليدوي.وعندما أظلمت الشّاشة،نظر فوق خزانة الثياب وهو يتصبب عرقاً ورأى إناء به زهور..

كانت السيقان الرفيعة تشبه الهوائيات! والأوراق كالسّحب القاتمة والبراعم مثل عيون الحشرات العمياء.

تحركت صورة الزهور أمام عينيه قليلاً ثم بلا نهاية..

❖❖❖

طنّ الطبّاخ الآلي في صوت رتيب، ثم دفع إليه بقطعة من اللحم المقدد السّاخن الشّهي، ولكنّ (مجدي) نهض من أمام منضدة الطعام..

كانت محطّة الفضاء ساكنة تماماً، أمّا الإيقاع الهاجع للآلات والأجهزة فكان ينبض في الجدران ولكنّه غير مسموع.

بدت حجرة المعيشة مضاءةً باللون الأزرق الخافت كمسرح خالٍ من الأثاث، حدّق فيها (مجدي) كما لو لم يكن قد شاهدها من قبل!

اتّجه إلى شاشة الرّؤية في ركن الغرفة ونظر بإمعان إلى صورة الكائن الغريب كان ثقيلاً، كئيباً، متمدداً في ألم.. وبدت مؤشرات العدّادات الذهبية عالية، والأوعية الضّخمة ممتلئة تقريباً.

حدّث (مجدي) نفسه في حيرة:

– هذا أكثر مما أحتمله أو أريده!

كانت السّكينة التي أعقبت الألم لم تخففه كما كان يعتقد، رفع بصره لأعلى ورمق الصّورة التي على الشّاشة للكائن الغريب أعضاء قشريّة ضخمة كريهة تهتز باستمرار..

هز (مجدي) رأسه بشدّة وقال:

– لن أسمح له، لن أستسلم أبداً!

وضع يده اليمنى بالقرب من عينيه..

رأى عشرات من التّجاعيد الدّقيقة النّافرة واضحة في الجلد فوق المفاصل، والشّعر الشّاحب الأبيض قد انتشر بكثرة كذلك وجد بعض الندبات الحديثة ذات اللون الوردي اللامع وبدت له أصابعه النحيلة متقلّصة تجثم بانحناء مثل سيقان الكائن الغريب مستعدّة للهجوم!

-٦-

حملق (مجدي) في الشّاشة الكبيرة، والعرق البارد يتصبب من كل جسمه والتقت عيناه بعيني الكائن الغريب الجّاثم هناك بلا حراك!

شعر بأنّهما يتحادثان دون لغة! التقى العقلان، حدث اتّصال لحظي بينهما بلا كلمات..وأدى هذا إلى انصهار أو ذوبان شيءٍ ما، كيانٍ ما، لا يتعرض للألم قط..

إحساسٌ جذابٌ، حنونٌ، دافئٌ،نداءٌ.. أو دعوةٌ رقيقة!

ثمّ تكوّنت في ذهن (مجدي) كلماتٌ يعرفها جيداً..

- آه لو تعلم يا حبيبي!

استقام (مجدي) لأعلى ببطء، وشعر كأنّه يمسك شيئاً رقيقاً هشّاً في ذهنه، لا يجوز التعامل معه بخشونة.

إذ إنّه قابل للتفتت!

قال بصوتٍ أجش مرتفع:

- (لمياء) لاتتركيني هذه الليلة،إنني بحاجة لصوتك لكي لا أشعر بوحدتي.

صمت للحظات ثم أردف ببطء:

- لقد عرفت الإجابة،عرفت كل شيء.

أنصتي عندما تتقابل حضارتان غريبتان عن بعضهما فإن أقواهما تؤثّر على الضّعيفة بالحب أو الكراهية.

هل تتذكرين ؟ لقد قلت إنك لا تفهمين معنى ذلك، سوف أقول لك ما معناه.

عندما قابل رائد الفضاء هذه الكائنات البشعة منذ قرنٍ مضى فوق القمر (تيتان)، كانت تنتشر وتوسّع من مجالات علومها وتُنشئ لها المستعمرات على الكواكب القريبة من موطنها، تماماً مثل البشر.

وكانت تعرف أننا سوف نتقابل مرة أخرى واستعدّت لهذا اللقاء.

تريث للحظات ليلتقط أنفاسه، ثم استطرد قائلاً:

- ليس لدى الجّنس البشري في الوقت الحاضر إمكانيّة السّفر في الكون إلى النجوم والمجرّات البعيدة، ولكن بعد مئة سنة أخرى، سوف نحقق ذلك ونصل إلى موطن هذه الكائنات الغريبة ولن تتمكن من إيقافنا أو محاربتنا!

أتدرين لماذا يا (لمياء)؟!

- لأنّها ليست كائنات شرّيرة، سفّاكة للدّماء، بل هي أرقّ طبعاً منا برغم أجسامها الضّخمة الكريهة. إنّ هذه الكائنات تشبه المصلحين

الاجتماعيين، إنّها لا تؤذي الآخرين كلا.. أبداً. يجب أن نتخلص من هذا التّفكير الخاطئ!

حاولت شبكة (ألفا) أن تقول شيئاً، أن تقاطعه، ولكنه واصل كلامه بسرعة:

– السّائل الذّهبي، سائل إطالة العمر، أعطته لنا دون مقابل..نعم، لم تطلب منا أي شيء مقابله، إنها أتت إلى هنا وصدمة أول اتصال جعلتها تفرز كعرق هذا السّائل الذّهبي اللزج الذي نحتاج إليه.

وفي الشهر الأخير أو نحو ذلك، يتبدد الألم.. لماذا؟!

لأنّ العقلين البشري والغريب يتوقّفان عن الصّراع ضد بعضهما، شيءٌ ما يتراجع ويصبح رقيقاً، ثم تحدث عمليّة دمج!

ومن هنا تأتي الإصابات البشريّة نتيجة لهذه اللقاءات، أقصد روّاد الفضاء المرهقين المتعبين الذين يخرجون من هنا غير قادرين على التّحدث بلغة البشر!

صمت (مجدي) لعدّة ثوان ثم أضاف بحدّة:

– إنني أعتقد أنّ هذه الكائنات سعيدة أكثر منّا! لأنّها اكتسبت شيئاً كبيراً رائعاً داخلها.. شيئاً لا أستطيع أنا أو أنت فهمه أو إدراكه.

ولكن لو تمّ إحضار روّاد الفضاء ووضعهم جنباً إلى جنب مع الكائنات الغريبة والذين قضوا معهم وقتاً ما هنا في الفضاء، فإنهم سوف ينجحون في التعايش معاً، فقد تكيّفوا وفقاً لهم ونشأت حلقة اتّصال بين البشر و الكائنات الغريبة.

وهذا هو ما يهدفون إليه تماماً!

دقّ خزانة الأجهزة والعدّادات بقبضة يده اليسرى وواصل حديثه:

– لا أقصد في الوقت الحاضر وإنما بعد قرن من الآن عندما نبدأ في غزو النجوم البعيدة والانتشار فوق كواكبها، سوف نكون قد هُزمنا بالفعل! ليس بالأسلحة يا (لمياء) وليس بالكراهية والشر، وإنما بالحب نعم بالحب.. أنبل عاطفة في الكون كله!

– توقف (مجدي) عن الحديث، ثم أخذ يطوف الغرفة و الأجهزة والمعدّات بنظرة هائمة متعبة..

قالت شبكة (ألفا) جملة طويلة بصوتٍ قلق منخفض.

صاح (مجدي) بانفعال:

– ماذا قلت؟

وألحَّ في سؤاله وهو يدق على خزينة الأجهزة:

- هل هذا موجود في رأسك المعدني داخل عقلك الآلي وذكائك الصناعي؟!

لم تنطق (لمياء) بأي كلمة..

فجأة، بدأت الدموع تتساقط من عيني (مجدي).. أحسّ باليأس والحزن يمتزجان داخله..

قال من بين عَبَراته:

- (لمياء) هل الوقت أصبح متأخراً جداً؟!

لم ينتظر إجابتها، توترت أعصابه أكثر، ثم دار حول نفسهواندفع نحو الخزانة التي تحفظ فيها الكتب والدّفاتر الورقية القديمة، فتح أول سجل وصلت إليه يده، كانت الحروف السّوداء عبارة عن رموز عجيبة على الصفحة بأشكال صغيرة محدّبة ليس لها أي معنى، ازدادت سرعة سقوط دموعه ولم يتمكن من إيقافها، كانت دموع الألم والإجهاد، دموع اليأس والقنوط.. والكراهية!!

زمجر صارخاً:

- (لمياء)! أيّتها المسخ المعدني!

لم يكن هناك جدوى من نداءاته.

نزل فوق رأسه ستار الصمت المطبق، ثم توقفت خزانة الأجهزة والعدّادات عن العمل بعد أن امتلأت الأوعية بالسّائل الذّهبي، إكسير الشباب!

-٧-

حاول النّظر إلى نفسه في المعدن اللامع لبعض الأجهزة، لم تبدُ له الصورة الفضيّة المنعكسة سوى ظل أسود لوجه نحيل!

ذهب إلى خزانة الكتب مرة أخرى وبحث في الأكوام الصّفراء من الورق المبعثر على الأرض. كانت الخطوط السوداء على الورق عندما وقع بصره عليها، تبدو في أشكال الأوتار الدقيقة ككائنات زاحفة!

ترنّحت خطوات (مجدي) وزاغت نظراته، أحسّ بصداعٍ حاد في جانب رأسه، حاول إيقاف الألم دون جدوى..

ثمّ اعتدل وواصل سيره بتثاقل.

كان الألم يأتي الآن في موجات طويلة يشعر في ذروتها بأنه يكاد يصاب بفقد البصر، وتصبح المرئيّات أمامه بنفسجيّة ثم رماديّة!

لم يكن من الممكن الاستمرار في هذه الحالة كان لابد من تحطيم شيء ما للتّنفيس عمّا في داخله من ضغط نفسي!

ضرب المعدن بكل قوة براحته، حتى انبعث صوت الضربة الكئيب يتردد في أرجاء محطّة الفضاء.

واصل (مجدي) سيره وعلى شفتيه ابتسامة شاحبة عديمة المعنى.

كان ينتظر وقوع حادثة ما !!

❖❖❖

تعثرت قدمه فجأة في الممر المؤدي إلى حجرة الطعام، سقط بعنف وتزحلق على الأرضيّة الملساء، ثم قبع بلا حراك أسفل الغلاف اللامع للطّباخ الآلي.

وفجأة بدأت الجّدران الرّمادية العالية تنحني وتتمايل إلى الداخل، وبدأت محطّة الفضاء بأكملها تهتز كأنّما أصابها زلزال.

شعر (مجدي) بذلك من خلال صدره وراحتيه وركبتيه ومرفقيه، كانت الأرضية تغوص للحظات ثم لا تلبث أن ترتد لأعلى كأنّها مصنوعة من المطاط وليس من الصلب المقوى بألياف الكربون.خفف الألم من قبضته قليلاً.

حاول (مجدي) أن ينهض على قدميه بينما ساد في محطة الفضاء صمتٌ رهيب!

نجحت محاولته الثانية، وتمكّن من الوقوف وأسند ظهره إلى أحد الجدران.

سمع فجأة صرير الطّباخ الآلي بشكل هستيري! ثم ظهرت فتحة خروج الطّعام ولكن فارغة دون أن تقدّم أي شيء!

ارتدّت الأرضيّة من تحته إلى أعلى مما جعل قدميه تقفزان كالدمية وضرب الجدار على ظهره بقوة. ارتعدت فرائصه ثم هدأ..

ومن مكانٍ بعيد في محطة الفضاء، صدرت أنّة معدنيّة غاضبة طويلة، تردد صداها ثم خفتت وتلاشت، وساد الهدوء و الصمت مرة أخرى.

شعر (مجدي) بأنّ محطّة الفضاء تمسك بأنفاسها.

وفي الحجرات الخالية، أُضيئت الأنوار بوهجٍ أصفر، وكان الهدوء ساكناً يطويه الغموض في انتظار شيء ما!

وفجأة، انبعث صوتٌ معدني رنان أجوف على طول الجّدران الصلبة، ثم خفت الصوت وتلاشى.

وقفزت الأرضيّة بشكلٍ مؤلم تحت جسده،

أصابته بضربة قويّة سرت منها رعدة من رأسه حتى قدميه، وبعد بضعة ثوانٍ سمع صوتاً خافتاً لهذه الضّربة كما لو كانت موجة صدمية قد عبرت محطّة الفضاء ثم عادت أدراجها.

حدّث (مجدي) نفسه، قائلاً:

- الفراش!

سقط على الأرضيّة متعمداً ثم زحف على يديه وركبتيه خلال الممر المؤدي إلى حجرة النوم.

كانت الأرضيّة مائلة بشكل غريب ووصل أخيراً إلى الكتلة المطاطيّة المريحة.

انفجرت حجرة النوم إلى أعلى ثم هبطت بعنف إلى الخلف تاركة (مجدي) يقفز على الفراش وأطرافه متطايرة في كل اتجاه، ثم هدأ كل شيء في شكل أنينٍ معدني خافت.

تدحرج (مجدي) على أرضيّة حجرة النوم معتمداً على مرفق واحد وهو يفكر بشكلٍ مشوّش..

الهواء.. الحاجز الهوائي..

ولم يلبث أن أصابته صدمة أخرى عصرت رئتيه وجعلت المرئيّات تتراقص أمام عينيه المجهدتين، بينما ازداد اهتزاز حجرة النوم..

لهث لكي يلتقط أنفاسه في صمتٍ مدوٍّ..! وشعر بموجة صقيع تندفع إليه من مكان مجهول عبر الحجرة، وكان في الهواء رائحة نفاذة لاذعة وأصبح لايقوى على التّنفس بحرية.

أدرك أنه غاز الأمونيا ومعه غاز الميثان الخانق، لقد اكتسحا حجرة النوم دون رحمة. إنّه هواء ذلك الكائن الغريب.

وتساءل (مجدي) في رعب، هل أتى الكائن الغريب لكي يقضي عليه!؟

-٨-

انتفض (مجدي) واقفاً على قدميه وهو ذاهل النظرات مترنّح الخطوات،

كان مايزال يفكّر بشكلٍ خاطِئ:

- الحاجز الهوائي! لابد من الوصول إليه وإلا قضى عليّ!

وفجأة انطفأت جميع الأنوار في الحجرة، بينما بلغ منتصف الطّريق إلى الباب.

ران الظّلام الدّامس فوق رأسه في كل الاتّجاهات. كانت البرودة أشد الآن كما ازدادت حدّة الرّائحة النّفاذة.

سعل بشدّة. واندفع إلى الأمام بسرعة، حتى شاهد العدّادات الذهبية بضوئها الخافت.

كانت الأوعية الضّخمة ممتلئة حتى قمّتها ويطفح منها السّائل الذّهبي قبل الموعد المحدد بشهرٍ كامل!

ارتعدت أوصال (مجدي)، ثم عادت الأنوار تُضيء وتُطفئ.

وزادت سرعة هبوب الرّياح الصّقيعيّة، وأخذت تدور في كل محطّة الفضاء.

كان (مجدي) قد فقد الإحساس بأطرافه المتجمّدة بسبب شدّة البرودة، وبدا له فجأة أنه في أعماق البحر.. محبوسٌ داخل هذا السّجن الحديدي بينما لا يحيط به سوى الظّلام الدّامس!

اختفى الصّداع من رأسه كما لو لم يكن قد أُصيب به من قبل وفهم معنى ذلك.

ففي مكان ما يجثم الجّسد الهائل للكائن الغريب مثل ذبيحة الجزار!

لقد انتهى الصراع المميت وحدث الضرر بالفعل!

❖❖❖

أخذ (مجدي) نفساً يائساً ثم صاح:

– النجدة! مات الكائن الغريب!

صرخ بقمّة انفعاله:

- لقد قطع أوصال محطة الفضاء! وغازي الأمونيا والميثان، يسريان فيها الآن! النجدة! (لمياء) (لمياء) هل تسمعينني؟!

لم يكن حوله.. إلا الصّمت المطبق، ثم تذكّر وسط الظّلام الخانق:

- بالطّبع لا يمكنها أن تسمعني الآن، حتى لو كانت على قيد الحياة!!

أخرج من حنجرته صوتاً متحشرجاً كأنّه يحتضر..

تلمّس طريقه بحرصٍ في الحجرة، اصطدم ببعض الأثاث ثم وصل إلى مابعد الممر الثاني، اعترضت بعض الأدوات الصغيرة الصلبة ساقيه، وأخيراً لمس منحنى معدنياً ناعماً هو حاجز الهواء!

دفع بكل ما أوتي من قوة جسده الواهن عبر الباب الآلي لكنه لم يتحرك!

بينما اندفع الهواء البارد إلى الداخل من فتحة بالباب في شكل تيار قارس البرودة لايُحتمل كان مثل نصلٍ حاد لسكين رفيعة ولكن الباب نفسه كان مغلقاً بإحكامٍ تام.

رداء الفضاء!!

كان يجب أن يفكر في هذا من قبل، ولكن باب الخزانة التي بداخلها رداء الفضاء كان مقفلاً بشكلٍ لا يمكن فتحه!

لابد أن سقف الحجرة قد انبعج إلى أسفل.

أدرك في حيرةٍ أنّ هذه هي نهايته!

فلم يكن هناك أي مخرج آخر، وغازا الأمونيا والميثان تزداد نسبتهما في كلّ ثانية بل جزء من الثانية!

دقّ بقوة على الباب حتّى كلّت يداه ولم ينفتح!

صرخ بقوة ينادي:

– (لمياء) إنني أموت! أنقذيني!

دون جدوى..

استند على المعدن البارد ورأى مصباحاً واحداً يضيء فوق رأسه،

وأصبحت الحجرة مرتعاً خصباً للخيالات السّوداء المرعبة والأشكال الضّخمة الغامضة.

تطايرت أوراق السجلات في تيار الهواء البارد واصطدمت مجموعات كبيرة منها بعنف في الجدران المعدنية وهي تُحدث صوتاً مميزاً ثم التفّ بعضها على بعض.

بينما كانت بعض الأوراق الصفراء تتناثر حول الممر الخارجي، تيارٌ باهت من الأوراق الساكنة..يسري في الظلام!

زادت حدّة رائحة غازي الأمونيا والميثان في أنفه الملتهب، وأحسّ (مجدي) بالاختناق وبدأ يتحسس طريقه إلى أقرب شاشة رؤية ليحقق أمنيته الأخيرة.

أراد أن يرى كوكب الأرض.. وطنه الكبير!

ولكن عندما ظهر المربّع الأبيض المضيء من الشاشة، شاهد (مجدي) جثّة الكائن الغريب كانت معلّقة ساكنة في فراغ القطاع الثاني، والأطراف متدليّة في تيبّس، والعينان متحجّرتان!

كان الفصل الأخير من الصّراع صعباً. ولكن (مجدي) ظلّ على قيد الحياة، ولبضعة لحظات سرت بعض الذكريات في عقله:

- آه لو تعلم يا حبيبي!

فجأة اتّضحت له الحقيقة كستار أُزيح بغتة، وظهر ضوء الشمس وأتت إلى ذهنه المكدود خاطرة عجيبة.

إن الكائن الغريب هذا ليس ذكراً بل أنثى!!

أراد (مجدي) بكل عاطفته وأحاسيسه ووجدانه أن يصدق هذا..

الكائنة الغريبة تحبه!

ترك نفسه يغوص في الشعور الجديد العجيب.

لقد جاءت من موطنها،، عبر آلاف السنوات الضوئية تقدّم الحب..

وقابلها هو بالكراهية والاشمئزاز.

وتساءل في حسرة:

- لماذا نبدأ بالشر لكل ماهو غريب غير مألوف؟!

ربما كان هذا ماقضى عليها!

وتترقرق في عينيه دمعة.

كان العالم يسبح دون وعي منه، بعيداً عن التّناول شيء كبير ينحدر مثل غيمة بيضاء شفّافة متألّقة يشعر بها ، تلمسه بحنان بالغ على رأسه وفوق عينيه.

نظر إلى الشّاشة يبحث عنها ليودعها! ولكن الشّاشة كانت مظلمة كهوّة بلا قرار..

أحس (مجدي) بنوبة سعال اهتزّ لها جسده، وفي مخيلته عالم غريب يدعو لزيارته وإحساسٌ دافئ ينبعث من أعماق وجدانه.

ضبابٌ رمادي ينتشر في جو الحجرة فيتماوج الماضي والحاضر

وينعدم الزمن.

همدت حركة آخر أوراق متطايرة في الممر، وساد في الحجرة الغارقة صمتٌ طويل، وجفنا (مجدي) مطبقان وابتسامة واهنة فوق شفتيه، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة بلحظات، أحس بحزن ناعم يطوق قلبه وتسبل له أهدابه..

وأتت إلى ذهنه الكلمات التي تنبض بالحب المستحيل، المجهول، المفقود القادم من أعماق الكون:

- آه لو تعلم يا حبيبي!

❖❖❖

النهاية

المؤلّف في سطور

رؤوف وصفي (١٩٤٩)

روائي وقاصّ مصري، من مواليد القاهرة، حاصل على ماجستير في اللغة الإنكليزيّة من الجامعة الأمريكية في القاهرة، حيث عمل فى التدريس فيها. كما قام بالتدريس فى الجامعة المستنصرية (بغداد)، وفى التعليم الجامعي في الكويت.

حصل على جائزة تبسيط العلوم فى أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، وعلى جائزة الثقافة العلمية فيها.

تخصص فى كتابة روايات وقصص الخيال العلمي، وتبسيط العلوم للأطفال. وقد كتب في العديد من مجلاّت الأطفال.

نشر أولى أقاصيصه «عالم آخر» عام ١٩٧٤، حول مخلوقات دقيقة لا ترى سوى بالمجهر تتسم بالذكاء الشديد، وتستطيع أن تقرأ ما يدور فى ذهن محدثها قبل أن ينطق به.

نشر مجموعته القصصية الأولى «غزاة من الفضاء» عام ١٩٧٨، عن المجلس الأعلى للفنون والآداب ثمّ تتابعت إصداراته في سلاسل التخيل العلمي.

من كتبه: «المارد المعدني»، «مغامرة في القرن ٢٥ »، «رحلة إلى المستحيل»، «القنبلة النيترونية»، «شواطئ الأبدية»، ومن العناوين التي صدرت في هذه السلاسل: «الكون والثقوب السوداء»، «الإنسان الآلي القاتل»، «سر كتاب الموتى»، «هجوم الزواحف»، «اغتيال الكمبيوتر»، «أميرة الفضاء»، «النجوم الزواحف»، «حرب النجوم»، كما ترجم العديد من الروايات إلى اللغة العربية، منها رواية «حرب العوالم، لـ هيربرت جورج ويلز.

صدرت له في هذه السلسلة مجموعة قصص من الخيال العلمي بعنوان (خطاب الحبّ الأخير).

المحتوى